مكتبة الشباب

عشاق الحياة

أحمد سويلم

سفير الدولية للنشر

مكتبــة الشــبــاب

عشـاق الحيـاة

عطاء من قلب الحرمان

تأليف

أحمد سويلم

إخراج فنى

جمال عبد الغفار

سفير الدولية للنشر

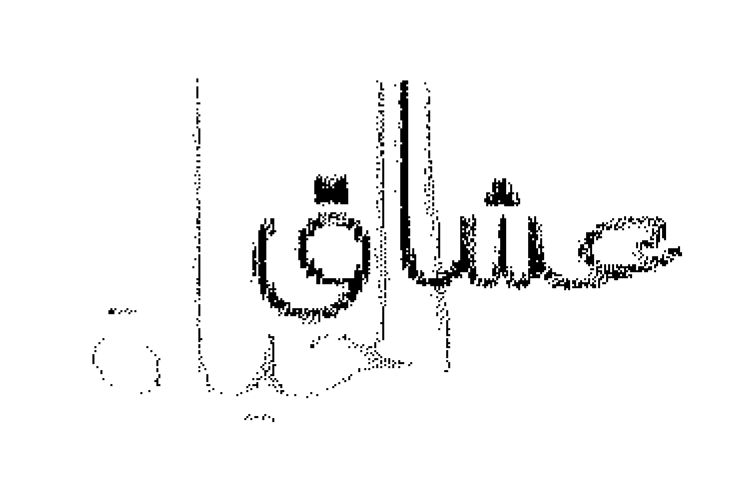
رقم الإيداع ١٤٢٤٣ / ٢٠٠٧

الترقيم الدولى : ISBN : 977 - 361 - 515 - 4

الفهرس

الموضـــــــــوع الصفحة

مقدمة :



الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

هؤلاء عشقوا الحياة ورفضوا العجز

تستهوينى دائمًا سير العظماء .. خاصة الذين أضافوا إلى البشرية إنجازات فكرية وعلمية وفنية .

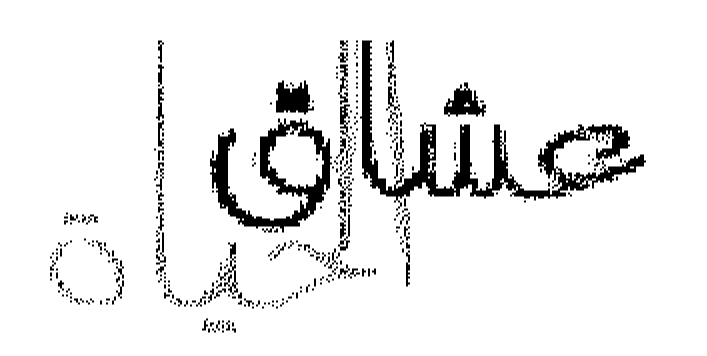
وتستهوينى أكثر سير هؤلاء العظماء الذى فقدوا حاسة أو أكثر من حواسهم التى منحهم إياها الخالق العظيم ، لكنهم لم يقفوا أمام هذه المحنة شاعرين بالنقص والعجز والاستسلام ، وإنما تغلبوا على كل شىء يعوقهم .. وانطلقوا إلى قمم المجد .. سلاحهم الصبر على المحنة .. وعشق الحياة .. وتحقيق الحلم .

ولقد سبق لى إصدار كتاب خصصته للمسلمين القدماء الذين هزموا العجز .. وتضمن نحو عشرين شخصية فى مجالات العلم والمعرفة . (١)

وظلت فكرة تناول شخصيات أخرى معاصرة عربية وأجنبية تراودنى بين الحين والآخر .. حتى طلبت منى (دار سفير) أن أقدم لها عددًا من هذه الشخصيات التى تعد قدوة ومثالاً للإرادة والتحدى أمام شبابنا الذى يبحث عن القدوة والمثال .

---

(١) مسلمون هزموا العجز – الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٢م.



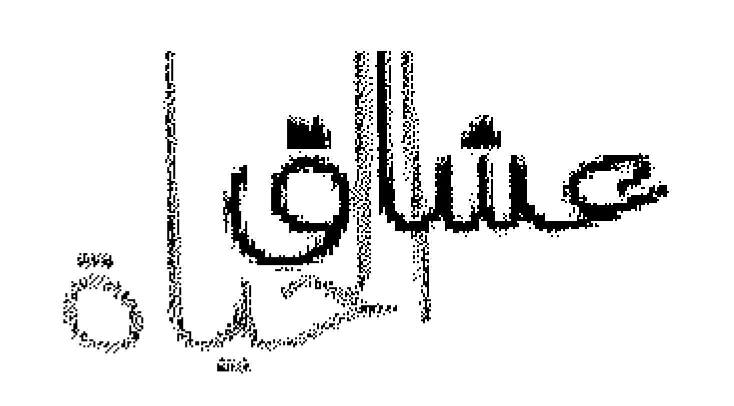
وسوف يجد القارئ فى هذا الكتاب عدداً من الشخصيات العربية والأجنبية .. تتضمن باختصار وتبسيط دقيق أهم معالم سيرة حياتهم .. وتوضح ما ابتليت به من نقص .. وكيف استطاع صاحب هذا النقص أن يتغلب عليه بالصبر والإرادة غير عابئ بسخرية البشر ولا حتى بهذه الآلام التى يعانيها .. ثم ها هو ينطلق بعد أن يرسم هدفه، لتحقيق المجد والحلم.

وقد حرصت أن أقدم أنواعًا مختلفة من هذه المحن .. فمنهم من أصيب بفقد البصر .. ومنهم من أصيب فى أطرافه حتى إنه يعجز عن فعل أى شيء .. أو أصيب ببتر ساق من ساقيه . ومنهم من فقد حاسة واحدة .. ومنهم من فقد أكثر من حاسة وهكذا .

كما إننى حرصت كذلك على التنوع فى اختيار هذه الشخصيات .

فنرى : المفكر .. والأديب .. والشاعر .. والعالم .. والفيلسوف .. والموسيقى .. والحاكم .. والمخترع .. والرسام .. والمكتشف .. حتى يستطيع القارئ أن يتجول مع إنجازات هذه الشخصيات التى عاشت رمزاً للبطولة والإرادة والتحدى .. وأخلصت فى مسيرتها حتى حققت أهدافها الكبيرة .

ولولا إصرار هذه الشخصيات على مواصلة الحياة .. لطواها التاريخ فى جب النسيان .



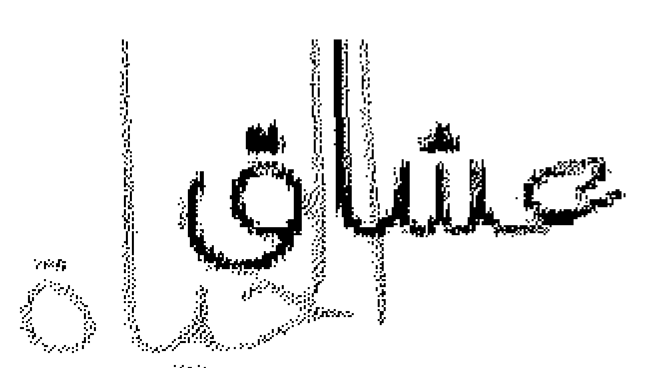
ومن ثم فإن ميزة هؤلاء الذين عشقوا الحياة وواصلوا خطاهم بإرادتهم القوية .. هو أنهم لم يصمتوا يومًا عن النداء .. نداء أحلامهم .. والبحث عن موقع فوق قمة المجد .

أتمنى أن يستفيد من هذا الكتاب شبابنا الواعد .. الذى لا يشكو علة ولا نقصًا فى حواسه .. وأن يتفهم دور هؤلاء الأبطال وإنجازاتهم للبشرية .

والله الموفق ،

أحمد سويلم

الشخصيات العربية





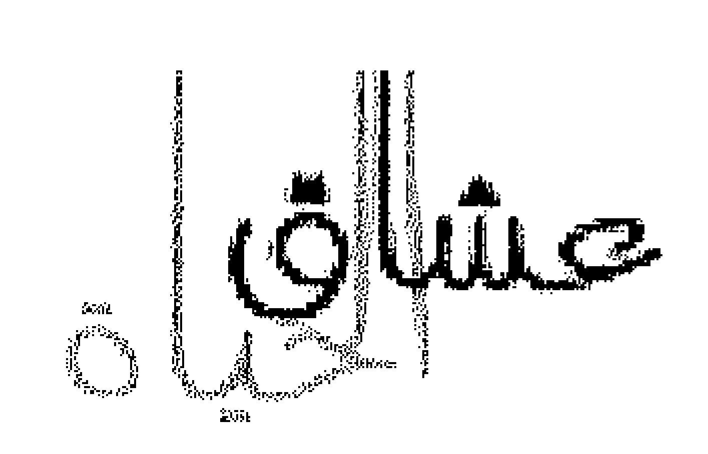
أبو العيناء الشاعر الساخر

حينما ولدته أمه .. كان قبيح الخلقة .. أحول العين .. وتمنت الأم أن يموت ولدها القبيح ولا يراه أحد من الناس .

وحينما رآه أبوه .. رفع وجهه إلى السماء راضيًا بما قسمه الله له .. فأسماه محمداً لعله يحظى باحترام الناس .

إنه محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر .. الهاشمى ولاءً .. المكنى بأبى العيناء .. وقد عاش فى العصر العباسى الأول حتى جاوز التسعين .. وقد عاصر الجاحظ وبينهما سجال وأخبار كثيرة.

نشأ الفتى فى البصرة .. واتخذ السخرية سلاحًا يدافع به عن نفسه إزاء من يسخر به .. فلم يضق بحَوَله الذى امتد أربعين عامًا .. ولم يضق بالعمى الذى لازمه خمسين عامًا أخرى .



وقد وصفه أحد الشعراء المعاصرين له بقوله :

أحْوَلُ العين والخلائقُ زينٌ لا احْوِلال بها ولا تلوينُ
ليس للمرءِ شائنًا حَوَلُ العيـ نِ إذا كان فعلُهُ لا يشينُ

بل إنه أيضًا رأى فضيلة فى الهوى وخلاصًا من مراقبة العذال فقال :

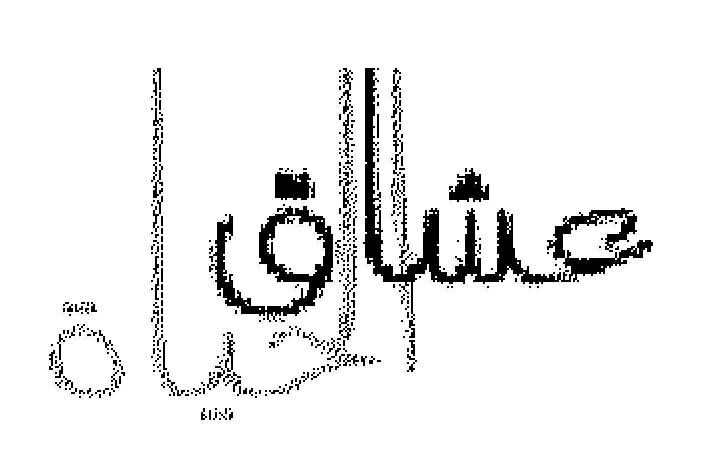
حمدتُ إلهى إذ بلانى بحبِّها
على حوَل يُغنى عن النظرِ الشزْرِ
نظرتُ إليها والرقيب يظنّنى
نظرتُ إليه فاسترحتُ من العذرِ

وحينما أصيب بالعمى .. بدأ يفاخر بذلك ويؤكد موهبته الشعرية والعقلية فقال :

إن يأخذ اللهُ من عينىَّ نورَهما
ففى لسانىِ وسمعى منهما نورُ
قلبى ذكىّ وعقلى غير ذى خَطَلِ
وفى فمى صارمٌ كالسّيف مأثورُ

وظل طوال حياته قبيح الخلقة .. لكنه مع ذلك كان أبو العيناء يمتلك لسانًا ذكيًّا فصيحًا .. ويُعَدُّ من ظرفاء العرب .. وله نوادر وحكايات ومراسلات عجيبة، وقال عنه ابن كثير : له معرفة تامة بالأدب والحكايات والُملح، أما الحديث فليس منه إلا القليل .

وقال عنه الحُصْرى : وكان أبو العيناء أحدَّ الناس خاطرًا .. وأسرعهم



جوابًا .. وأبلغهم خطابًا. وقد حظيت مواهبه وأخلاقه بتقدير الخلفاء والولاة .. فكانوا ينادمونه .. ويحبون الاستماع إليه . ويروى أنه دخل يومًا على الخليفة المتوكل فى قصره المعروف بالجعفرى .. فقال له المتوكل: ماذا تقول فى دارنا هذه؟

فقال أبو العيناء : إن الناس بنوا الدور فى الدنيا .. وأنت بنيت الدنيا فى دارك .. فاستحسن الخليفة إجابته .

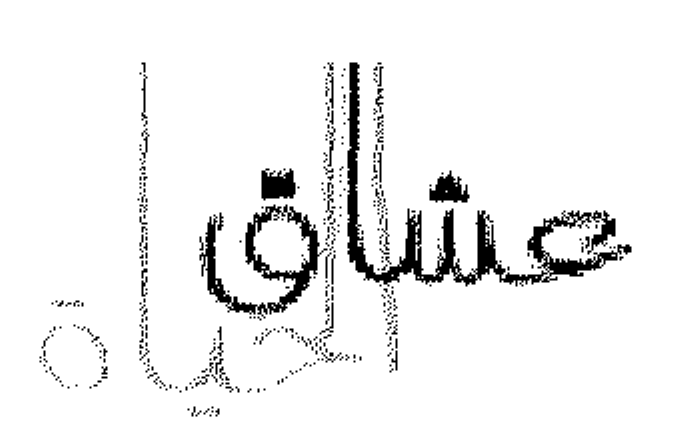
ومرة أخرى داعبه المتوكل فقال : إن سعيد بن عبد الملك يسخر منك .

فقال أبو العيناء : " إن الذين أجرموا من الذين آمنوا يضحكون " . ويذكر الصفدى فى كتابه (نكت الهميان) عن أبى العيناء قوله :

قلَّ إن وجد أعمى بليداً .. ولا يرى أعمى إلا وهو ذكى، منهم أبو العيناء وأبو العلاء ..

والسبب الذى رآه فى ذلك أن ذهن الأعمى وفكره يجتمع عليه .. ولا يعود متشبعًا بما يراه .. ونحن نرى الإنسان .. إذا أراد أن يتذكر شيئًا نسيه أغمض عينيه .. فيقع على ما شرد من حافظته .. وفى المثل: أحفظ من العميان!

لم يعتزل أبو العيناء الناس .. بل تحدى هذا العمى وكان راوية للأخبار والقصص ونوادر الأدب .. فأقبل الناس عليه يحدثونه ويسمعون منه .. وإلى جانب أنه شاعر نظم فى الحكمة والغزل والهجاء .. فقد كتب رسائل إخوانية منها ما كتبه يذم به أحمد بن الخصيب على لسان الكتّاب والرؤساء والقواد



وغيرهم .. ومنها ما تحدث فيها عن مساوئ أهل عصره ..

أما سلاح السخرية الذى كان يذود به عن نفسه .. فقد استخدمه فى مواقف كثيرة .. والغريب أن سرعة بديهته كانت حاضرة بشكل لافت، فمن ذلك مثلاً أن ابن نوح النصرانى عتب عليه .. فبلغه ذلك .. فقال : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)

وقدم صديق عليه ذات مرة .. فدعاه إلى الطعام .. وجعل الصديق يروى ويكذب .. فالتفت إليه أبو العيناء وقال : نحن كما قال الله تعالى : (سماعون للكذب أكالون للسحت) !

وقد تكون سخريته بجملة قصيرة تحمل معنى مضحكًا، فقد زاحمه رجل على حمار بالجسر .. فضرب بيده على آذان الحمار .. وقال : يا إنسان قل للحمار الذى فوقك أين الطريق ..

ووعده أحدهم أن يحمله على بغل .. فلقيه فى الطريق وقال : كيف أصبحت يا أبا العيناء ؟

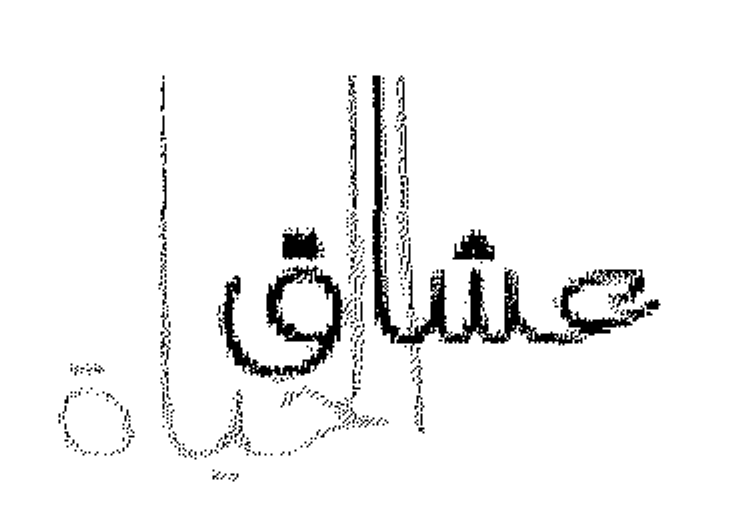
فقال : بلا بغل !

فضحك من قوله .. وبعث إليه بالبغل.

وأكثر نوادر أبى العيناء الساخرة يقولها ساخراً بمن أرادوا أن يسخروا به ..

ومن ذلك : قال له أحدهم : أشتهى أن أرى الشيطان .. قال : انظر فى المرآة وأنت تراه .. فقال له أحدهم : كيف أكتب اللؤم .. بلام أو بلامين ؟

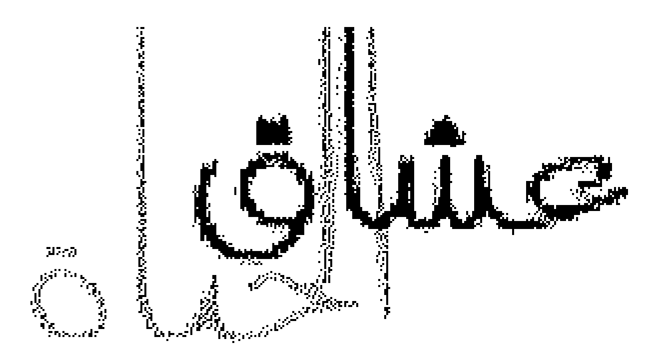
فأجاب : صور نفسك !



وكما كانت حياته مثاراً للسخرية .. كان موته أعجب .. فقد كان قد انحدر من بغداد إلى البصرة فى زورق فيه ثمانون نفساً ..فغرق الزورق .. ولم ينجُ ممن كان فيه إلا أبو العيناء .. فقد تعلق – وهو أعمى – بقطعة خشب من الزورق .. وخرج حيًّا وتلف كل من معه ووصل البصرة حيث مات سنة ٢٨٢هـ .

وهكذا نرى أبا العيناء قد عشق الحياة وعمَّر حتى التسعين من عمره .. وكان من ظرفاء عصره وبؤسائه .. ويبدو أن شر البلية مايضحك وما يندر .. فقد جعله العمى والبؤس والفقر أكثر تمسكًا بالحياة .. وأكثر سخرية من الناس أغنيائهم وأصحاب السلطان منهم وتفجر ذلك كله فى مواقفه وكلماته وأشعاره مع أهل زمانه ..

* * *



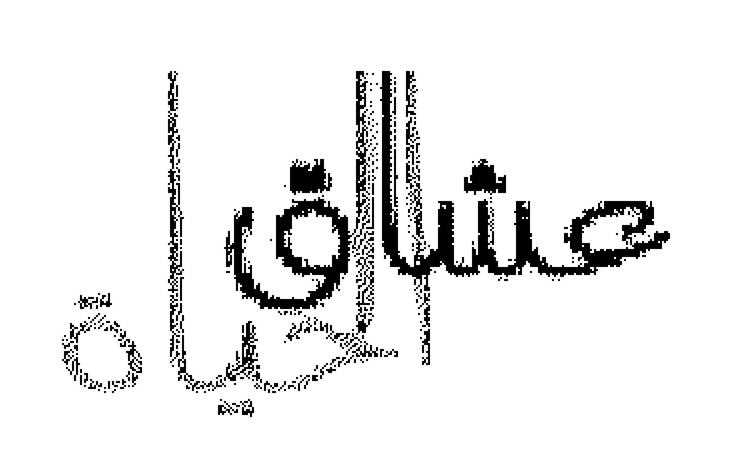


ابن منظور صاحب لسان العرب

بالرغم من التمزق السياسى الذى أصاب العالم الإسلامى بعد سقوط بغداد سنة (٦٥٦هـ) على يد التتار، فقد شهدت هذه الفترة ازدهاراً كبيراً فى كثير من فنون الأدب واللغة والشعر، وأصبح مركز هذه النهضة الأدبية الكبيرة فى مصر، كما شهدت هذه الفترة ازدهاراً فى فن الموسوعات العلمية التى حفظت لنا التراث العربى من الضياع .. من ذلك مثلاً : معجم الأدباء – ومعجم البلدان (وكلاهما لياقوت الحموى) والنجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة (لابن تغرى بردى) .

وكان فى مقدمة تلك الأعمال الكبيرة : موسوعة اللغة العربية المعروفة باسم : معجم لسان العرب لابن منظور .

وابن منظور هو محمد بن مكرّم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصارى الإفريقى .



ولد فى مصر (وقيل فى طرابلس المغرب) فى عام ٦٣٠ م .. وخدم فى ديوان الإنشاء فى القاهرة .. ثم ولى القضاء فى طرابلس .. وأصيب بفقد البصر .. فلم يثنه ذلك عن العمل .. احتضنته مصر .. كما احتضنت غيره من العلماء الذين وجدوا فيها يسرًا فى سبل العيش .. كما وجدوا فيها الأزهر الشريف ومساجدها ومدارسها المتعددة .. فكانت القاهرة مأوى للعلم والعلماء .

كانت حياة ابن منظور حياة عمل وجد موصول .. يدل على هذا أنه ترك تراثًا كبيرًا من التأليف والاختصار .. بلغ نحو خمسمائة مجلد عدا ما نسخه بخطه الجميل من كتب القدماء .

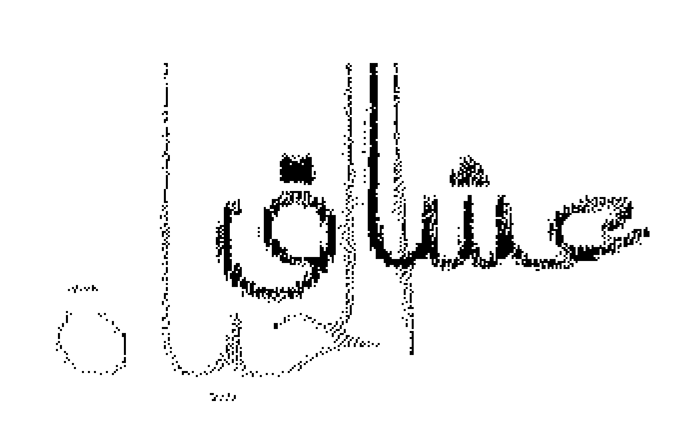
وبرغم من إصابته فى عينيه لم يكف يومًا عن البحث والتأليف .. بل شارك بفكره فى علوم كثيرة ..

ولعل معرفته بالفقه قد أهلته لتولى منصب القضاء ..

أما فى اللغة فقد أبدع : لسان العرب ..

واختصر كتبًا كثيرة .. بعد أن حررها من الابتذال والأخبار الخرافية منها : مختار الأغانى ، الذى اختصر فيه كتاب الأغانى للأصفهانى .. ومختصر تاريخ بغداد للخطيب البغدادى فى عشرة مجلدات .. ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ..

ومختصر مفردات ابن البيطار ، ومختصر العقد الفريد لابن عبد ربه .. ومختصر زهر الآداب للحصرى .. ومختصر الحيوان للجاحظ .. ومختصر



يتيمة الدهر للثعالبى .. وغيرها كثير .

وعلى مدى واحد وسبعين عامًا لم يتوقف هذا الرجل، ولم يترك قلمه، ولم يكف عن البحث بالرغم من إصابته بالعمى .. أما عمله الكبير (لسان العرب) فهو يمثل معجزة من معجزات التأليف الموسوعى فى التراث العربى ..

ويذكر ابن منظور فى صدر مقدمته لهذا المعجم أنه اعتمد على كثير من أمهات المعاجم التى سبقته وأهمها : المحكم لابن سيده، والتهذيب للأزهرى، والجمهرة لابن دريد، والمجمل لابن فارس، والنهاية لابن الأثير ..

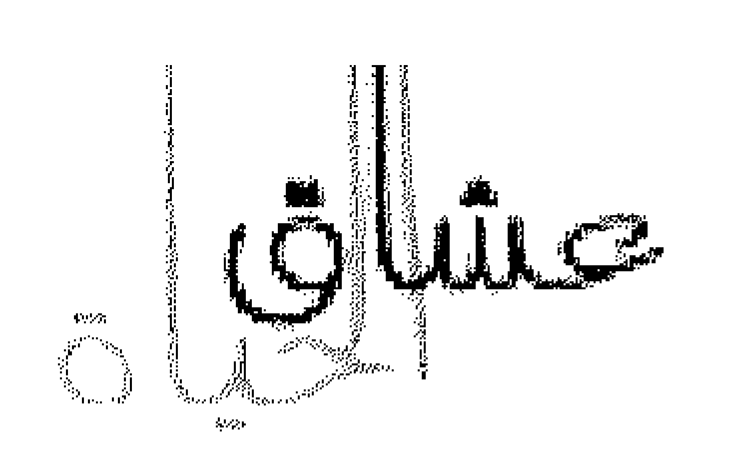
وفى مقدمة المعجم ينبهنا ابن منظور إلى أمر مهم جدًّا من الناحية الإحصائية التى لو بحثناها اليوم بالوسائل الحديثة لخرجت قريبة من آرائه فى دقتها ..

فمن النتائج التى توصل إليها ابن منظور – ولم تكن لديه آلة حاسبة أو جهاز إلكترونى – علاقة نظم الحروف الهجائية داخل الأصل أو جذر الكلمة العربية . .

فهناك حروف يكثر تكرارها فى اللغة العربية مثل : ا . ل . م . هـ . ن . و . ى ..

وحروف أخرى أقل فى تكرارها مثل : د . ع . ق . ب . ت . د. س . ق . ج . ح ..

وحروف يقل تكرارها عما سبق مثل : ظ . غ . ث . ز . خ . ص. ذ ..



وهكذا أخذ يصنف الحروف بحسب تكرارها .. وتجاورها ..

ومنذ ربع قرن قامت لجنة من علماء مصر اللغويين بإشراف الدكتور إبراهيم أنيس – عميد دار العلوم الأسبق وعضو مجمع اللغة العربية – بتحليل معجم الصحاح للجوهرى . وهو أقل من لسان العرب وإن كان على نمطه .. واستخدموا الكومبيوتر فى هذا التحليل .. فتوصلوا إلى نتائج إحصائية قريبة جداًّ مما توصل إليه ابن منظور – الذى لم يكن يملك أجهزة علمية ..

ولا شك أن شهادة علمية عصرية كهذه .. تضع الرجل فى مكانة خاصة من علماء عصره والعصور التالية عليه ..

فإذا كنا أمام رجل عمل بالقضاء .. وكف بصره .. وامتلك ناصية اللغة .. فقدم لنا عملاً معجزاً كلسان العرب .. فلا نملك أمام هذه الموهبة إلا التقدير والاحترام .. فقد وهب العرب معجماً ليس فقط يعنى بمفردات اللغة وإنما قدم فيه الشواهد من الكتب المقدسة والشعر .. وساق لنا المعانى واشتق منها ما يصلح لأى زمان قادم ..

إنه التحدى لكل قدرة إنسانية صحيحة قام بها رجل أحب العلم فأحب الحياة ..

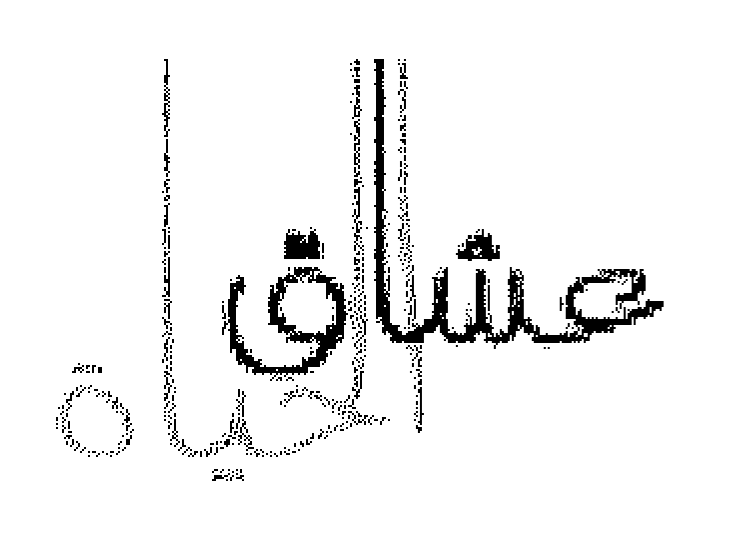
* * *





كان الأب يعمل طيانًا .. يضرب الطوب اللبن .. وكان له ثلاثة أولاد: بشر وبشير يعملان بالجزارة .. وبشار .. وقد كف بصره وهو فى الرابعة من عمره .. فحال ذلك بينه وبين العمل مع أبيه أو مع أخويه .. وعاش يعطف عليه أبوه وأهله .. فقد كان قبيح الخلقة إلى جانب كف بصره وتركه أهله لشأنه .. لكنه حين أخذ يلعب مع أقرانه بدءوا يسخرون منه .. فهجر اللعب .. وبدأ يحضر مجالس العلم والشعر .. فقد كانت البصرة آنذاك تحفل بحركة علمية وأدبية كبيرة ومن ثم أحب اللغة والأدب وبدأ يقول الشعر فى سن مبكرة .. وكان أبوه يحبه ويقول : ما رأيت مولوداً أعظم بركة من بشار .. ولد لى وما عندى درهم .. فلما حال الحول جمعت مائتى درهم !

وبدأ بشار يتخذ من الشعر سلاحًا يدافع به عن نفسه ويهجو به كل من يسخر منه ..



وكثيراً ما كان الناس يسرعون إلى أبيه ويشكون هجاءه .. فيضربه أبوه آمراً إياه أن يكف عن الهجاء، وتتدخل أمه وتستعطف أباه أن يكف عن ضربه .. وذات مرة قال بشار لأبيه : يا أبتِ .. إن هذا الذى يشكونه منى هو قول الشعر .. وإنى إن داومت عليه أغنيتك وسائر أهلك .. فإن شكونى إليك ثانية فقل لهم : أليس الله يقول: (ليس على الأعمى حرج)؟ فلما عاودوا شكواهم .. قال لهم أبو (برد) ما قاله ولده بشار .. فانصرفوا وهم يقولون : فقه برد أغيظ لنا من شعر بشار ..

اتخذ بشار إذن الهجاء سلاحًا يشهره فى وجه من ينتقص قدره أو يحجم عن مكافأته على شعره.. فلم يسلم من لسانه الأمراء ولا البخلاء الأشحاء .. ولا فحول الشعراء الحاقدين عليه .. وهو وإن ظن أنه عدوانى . فقد اتخذ الهجاء سبيلاً للكرامة والكبرياء ..

وحاول يومًا أن يهجو جريرًا .. فلم يلق له بالاً، فقال بشار: هجوت جريراً فاستصغرنى.. ولو هجانى لكنت أشعر أهل زمانى .

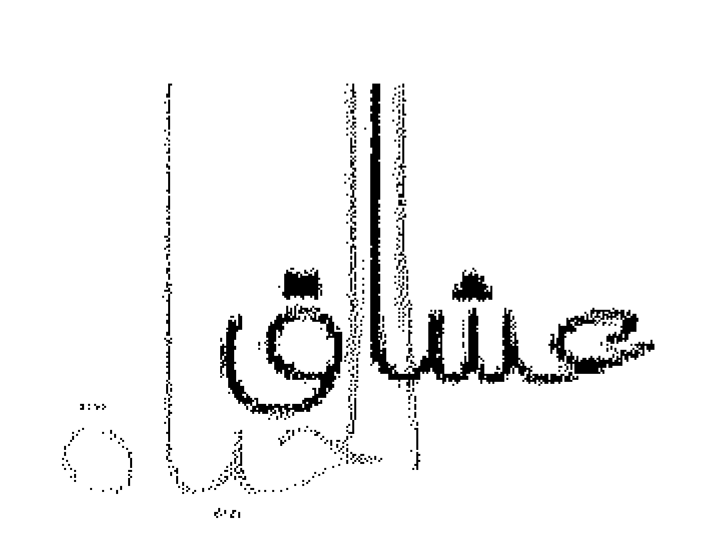
كان بشار أحد الشعراء الكبار فى العصر العباسى .. وقد هجا عمرو بن العلاء الراوية الشهير بقوله :

ارفق بعمرو إذا حركتَ نسبتَه   فإنه عربىّ من قواريرِ

مازال فى كير حدادٍ يردّده   حتى بدا عربيًّا مظلمَ النورِ

إن جاز آباؤه فى مُضَرٍ جازت   فلوسُ بخارى فى الدنانيرِ

إنه هنا يقول : إذا بحثت نسب عمرو بن العلاء فابحثه برفق لأنه سريع



الانكسار كالزجاج لضعفه .. لقد أخذ الحداد يردده فى كيره ليختبر حقيقته فظهر له زيف معدنه .. وإذا جاز التعامل بالدنانير فى بخارى – وهى لا تتعامل إلا بالدراهم – لجازت نسبة آباء عمرو السفلة إلى قبيلة مضر! واجتمع أدباء البصرة وعلماؤها ضده وانتهى به الأمر إلى نفيه من البصرة عام ٧٤٤ م إلى أن ذهب إلى بغداد وعاش فى كنف العباسيين .. وبدأ ذلك بمدح الخليفة المنصور بقوله :

سراجٌ لعين المُسْتضِئ وتارةً   يكون ظلامًا للعدو المزاحمِ

ونلاحظ هنا استخدام بشار – برغم عماه – للنور والظلام والعين.. بل نجده يتحدى عماه أكثر من مرة .. منها ما يقوله بعد ما هدده الخليفة :

يا منظرًا حسنًا رأيتُه   فى وجه جارية فديتُه

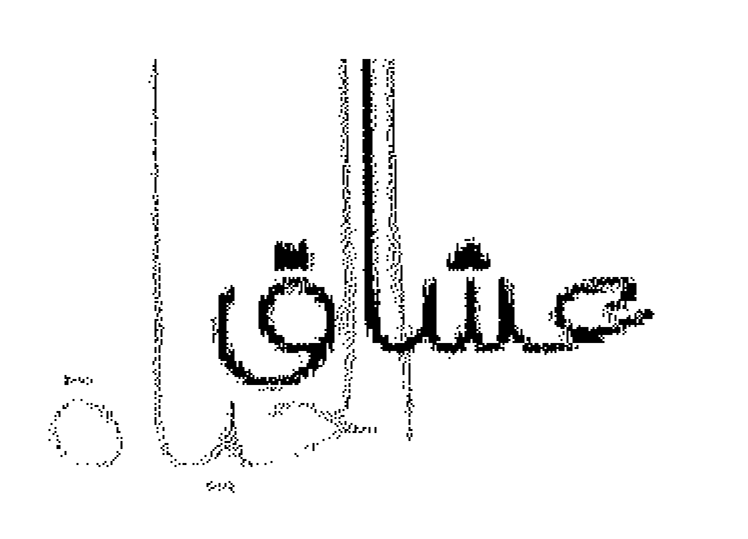
بعثت إلىّ تسومُنى   برد الشباب وقد طويتُه

واللهِ ربِّ محمدٍ   ما إن غدرتُ ولا نويتُه

إن الخليفة قد أبى   وإذا أبى شيئًا أبيتُه

ويشوقنى بيت الحبيب   إذا ادكرتُ وأين بيتُه

فأى وجه حسن هذا الذى رآه بشار وعبر عنه فى مطلع هذه القصيدة؟ وأى وعد وعدته هذه الحسناء؟ إنه – كما نرى – أسلوب يفوق أصحاب البصر .. وقد نال بشار حظوة كبيرة عند الخليفة المهدى جعلته يعجب بشعره وحسن بديهته .. ويتغاضى عن هجائه إلى أقرب الناس له.. ويحكى أن يزيد (خال المهدى) دخل على الخليفة وعنده بشار ينشده شعره .. فبعد أن



انتهى بشار من قصيدته .. سأله يزيد : ما صناعتك؟ فأجابه بشار متهكمًا : أثقب اللؤلؤ .

فضحك المهدى وقال لبشار : أتتهكم على خالى فى حضرتى ؟

فقال بشار : ماذا أقول يا مولاى وهو يرى شيخًا أعمى ينشد الخليفة شعرًا ويسأله عن صناعته..

فازداد الخليفة ضحكًا !

وتختلف الآراء حول بشار وزندقته .. وهجائه المقذع .. وسخريته اللاذعة .. ويبدو أنه كان يلجأ إلى هذا كله رافضًا أن يشعره أحد بالنقص أو القبح ..

ومع ذلك فقد دبر يعقوب بن داود وزير المهدى مؤامرة ضد بشار ليتخلص منه ومن لسانه .. وادعى أن بشارًا يرمى الخليفة المهدى وأم ولديه بالفجور .. فما كان من المهدى إلا أن أمر بجلده حتى الموت .. وبعد أن مات بشار .. أرسل الخليفة إلى بيت بشار من يفتشه فإذا بكتاباته وأشعاره تثبت إيمانه بالله وولاءه للعباسيين، فلما قرأها الخليفة ندم على قتل بشار وقال : لا جزى الله يعقوب بن داود خيرًا..

لكن صفحات التاريخ لا تخلو من سيرة هذا الشاعر الكبير الذى كان عبقرى زمانه .. محبًّا للحياة .. شامخًا فى كبرياء بالرغم من محنته المظلمة.

وهى سيرة اختلف عليها الكثيرون .. لكنهم جميعًا يشهدون بشاعريته وعبقريته ..

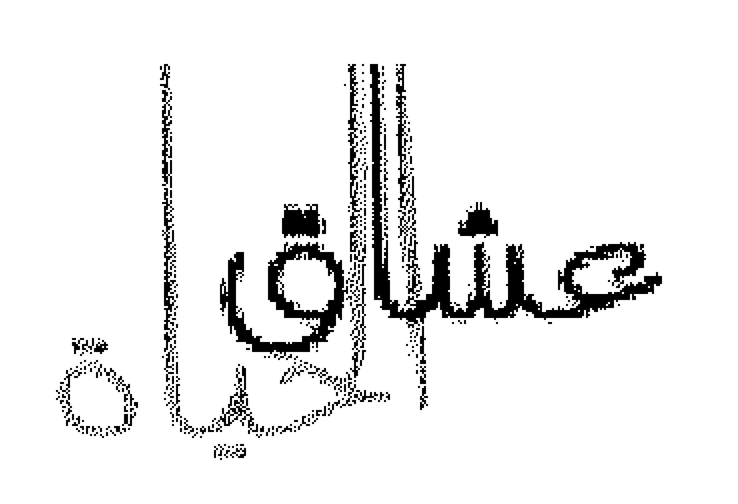


قليلاً ما يذيع التلفزيون هذا اللقاء الفريد الذى التف فيه حول طه حسين مجموعة من أبرز كتاب مصر يحاورونه .. ويداعبونه .. وهو يحاورهم ويداعبهم .. ويفيدون من علمه وفكره.

وبالرغم من أن بعض الحضور قصد مشاكسته .. فإنه بكل هدوء وتعقل كان يمتص هذه المشاكسة ويحيلها إلى قضية فكرية تستحق المناقشة.. ونغمض أعيننا .. لنعود إلى هذه الشخصية التى عاشت محنة حياتية كبيرة، لكنها مع ذلك لم تستسلم لهذه المحنة .. لكن الإرادة الصلبة كانت دائمًا مشعلاً مضيئًا فى كل طريق ..

كان الميلاد فى الرابع عشر من نوفمبر عام ١٨٨٩م فى قرية (عزبة الكيلو) التى تبعد عن مغاغة بمحافظة المنيا بمقدار كيلو متر واحد ..

كانت الحياة فى ذلك الزمان بسيطة عشوائية .. فلما أصيب طه – فى



السادسة من عمره – بمرض الرمد الصديدى فى عينيه .. ذهبوا به – كالعادة – إلى حلاق القرية .. الذى تسبب بجهله في فقد الصغير بصره ليعيش طوال عمره بهذا المحنة ..

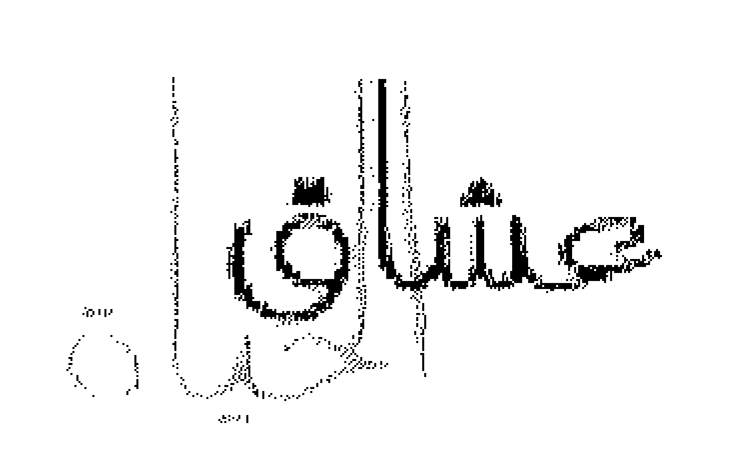
وتبدأ حياة الصغير الضرير تتبدل .. بدأ يستحى أن يأكل مع إخوته .. وحرم اللعب مع أصدقائه فى مثل سنه .. وكان عليه أن يذهب إلى الكُتّاب ليحفظ القرآن الكريم ..

لكنه بالإضافة إلى الكُتّاب.. شغف بالاستماع إلى القصص وشاعر الربابة الذى يحكى السير الشعبية.. وما إن أكمل حفظ القرآن الكريم حتى لقب بالشيخ طه .. وقرر أبوه أن يرحل طه مع أخيه إلى القاهرة للالتحاق بالأزهر، ويصبح شيخًا حقيقيًّا مثل هؤلاء الذين يسمع عنهم ويراهم ..

أما أخوه الذى كان سيرافقه لدراسة الطب بالقاهرة .. فقد داهمه مرض الكوليرا وقضى عليه .. وبقى على طه أن يرحل لاستكمال الدراسة الأزهرية . ويجد طه حسين مثلاً أعلى يتعلق به هو أبو العلاء المعرى .. فأقبل على دراسته ومعرفة أسرار حياته لعل ذلك يغدو أنيسًا له فى محنته ..

ويلتحق بالأزهر ويكتشف أن هناك أساتذة يدعون إلى التجديد .. وآخرين يدعون إلى الجمود ..

ثم تفتتح الجامعة المصرية عام ١٩٠٨م .. فتطلع إلى الالتحاق بها.. لكن كيف؟ وهل ستقبله الجامعة ؟



وشاء القدر أن يقبل الفتى فى الجامعة ويبدأ فيها حياة علمية منظمة على أيدى أحمد لطفى السيد وعبد العزيز جاويش وحسن المرصفى وغيرهم، ممن كانوا يكتبون مقالات أدبية ونقدية فى الصحف، وكان سعيداً حينما بدأ يكتب معهم فى الصحف ..

وفى يوم استدعاه الشيخ عبد العزيز جاويش - وكان معجباً بكتاباته وقال له : أفكر يا فتى أن نفعل شيئًا من أجلك .. لا بد من سفرك إلى فرنسا عامين أو ثلاثة أعوام ..

كانت مفاجأة صادمة مفرحة معًا .. لم يتوقعها الفتى .. لقد تذكر أن أستاذه أحمد لطفى السيد قال له يومًا : لو داومت على أسلوبك هذا فسوف تكون لك مكانة لا تقل عن مكانة فولتير فى الأدب الفرنسى ..

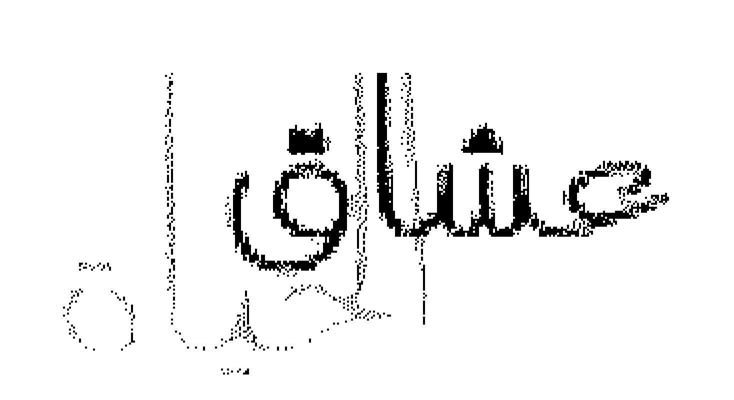
ترى شاء القدر أن تتحقق هذه النبوءة .. ويذهب إلى حيث عاش فولتير .. فربما لاحقه وصار فى مكانته .

لقد كان يتمنى أن يكون مثل أبى العلاء المعرى (رهين المحبسين) لكن لا بأس أن تتضاعف الأمنيات ..

إنه يمتلك الإرادة القوية .. والعزيمة التى لا تلين .. ويواجه بكل صلابة كل المعوقات، وبدأ يحيل ظلامه إلى نور وأمل.

راح يتعلم اللغة الفرنسية بإرادة حديدية .. حتى استوعبها وتحدث بها كأنه واحد من أهلها ..

كان متأكداً أن اللغة معبر نحو ثقافة أخرى مختلفة ..



وبعد أخذ وردٍ من الجامعة، وافقت الجامعة على سفره بصحبة أخيه .. وكان ذلك فى عام ١٩١٤م (وهو فى الخامسة والعشرين من عمره)، كان أقصى ما كان يتمناه أبوه أن يصير شيخًا أزهريًّا معممًا يخطب الجمعة .. ويفتى فى العبادات .. ويقدم الوعظ والمشورة .. فإذا به يتخطى ذلك كله إلى لغة أخرى .. وثقافة مختلفة .. بل ومجتمع متطور ليس كعزبه الكيلو .. ولا حتى القاهرة آنذاك .. إنها باريس.

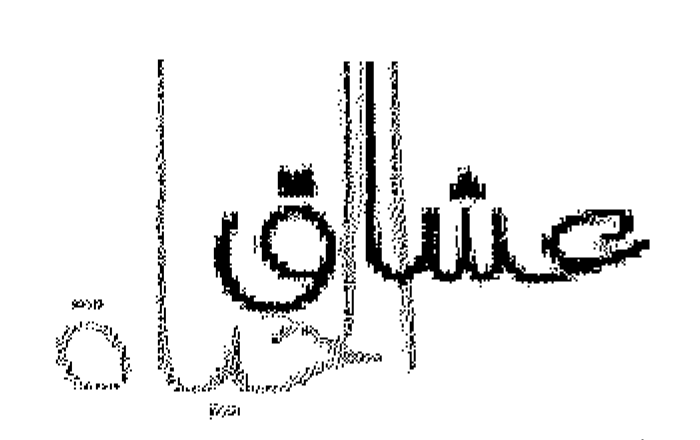
ركب الباخرة من ميناء الإسكندرية لتتجه به إلى مارسيليا الميناء الفرنسى الشهير ..

ثمانية أيام كأنها الدهور .. يحلم .. ويتوقع .. ويخاف .. ويتوجس ويشعر بالخطر .. ويعزى نفسه بالقوة الداخلية .. تناقضات كثيرة عاشها الفتى فى رحلة البحر ..

وجد الفتى فى صحبة أبى العلاء عزاء له . وفى ذلك يقول فى (الأيام): (يرحم الله أبا العلاء.. لقد ملأ نفس الفتى ضيقًا بالحياة .. وبغضًا لها .. وأيأسه من الخير .. وألقى فى روعه أن الحياة جهد كلها ومشقة كلها .. وعناء كلها) .

ثم شاء القدر أن يلتقى بفتاة فرنسية تسمى (سوزان)، لكى تكون قارئة له .. فبدأت حياته مرحلة جديدة من الإشراق والسعادة.. وتبدأ بينهما عاطفة قوية تنتهى بالزواج بعد عدة سنوات ..

والحقيقة أن سوزان كان لها أثر كبير فى حياة طه حسين الشخصية والعالمية فقد كان الحب بينهما تظلله المعرفة والعلم .. فوقفت إلى جواره



تسانده وتشد من إرادته حتى حصل على الليسانس وعلى الدكتوراه .. عاد الزوجان الى مصر ومعهما وليدهما الأول عام ١٩١٩ م.

ويعمل طه حسين أستاذاً للتاريخ القديم فى الجامعة المصرية .. وفى عام ١٩٢٨م يصبح عميداً لكلية الأداب .. ولكنه سرعان ما استقال من عمله احتجاجاً على طلب منح كل من «على ماهر» و«عبد العزيز فهمى» و«توفيق رفعت» و«إبراهيم يحيى» درجة الدكتوراه ..

ثم عين وزيراً للمعارف .. وهو صاحب فكرة أن التعليم حق لكل إنسان مثل الماء والهواء .

تلك كانت رحلة طه حسين .. الذى وقف أمام الصعاب بقوة وإرادة ولم يستسلم لفقد بصره ولا لبؤسه وإنما حال كل محنة إلى قوة وإضافة إلى الحياة..

وتعدد نشاط طه حسين الأدبى والعلمى والسياسى .. فقد ترجم عن الفرنسية لراسين وفولتير وأندريه جيد .. وكتب فى الإسلاميات: الوعد الحق – على هامش السيرة – مرآة الإسلام – الشيخان – الفتنة الكبرى ..

وكتب عن أبى العلاء : ذكرى أبى العلاء المعرى – تجديد أبى العلاء .. وفى الدراسات الأدبية: حديث الأربعاء – حافظ وشوقى – الشعر الجاهلى – خصام ونقد ..

وفى القصص والرواية : دعاء الكروان – شجرة البؤس – المعذبون فى الأرض – الحب الضائع – وعن سيرته الذاتية : الأيام – أديب ..



إلى جانب أعمال أخرى كثيرة سجلت له تاريخًا علميًّا وأدبيًّا رفيعًا .. لقد كان ثائرًا على التخلف والقيم والتقليدية .. وداعيًا إلى التجديد والتطور .. مزج ثقافته العربية بثقافة الغرب .. فكان رائدًا من رواد التنوير .. إن طه حسين مثل للإرادة القوية التي شقت طريقها في الصخر فحفر بأظفاره فيه حتى كتب لنفسه تاريخًا حافلاً بالمنجزات.

وفى ٢٨ فبراير عام ١٩٧٣م رحل طه حسين بعد أن اطمأن إلى عبور الجندى المصرى إلى صحراء سيناء، فمات مستريحًا بعد أن ترك لنا تراثًا لا يموت .

* * *



كانت فرحة الأسرة كبيرة بقدوم هذا المولود الجديد (صبحى) للتاجر الكبير عزيز أمين الجيار الذى ورث العمل بتجارة الجير أباً عن جد . .

اكتشفت القابلة أن الطفل يبكى بحرقة شديدة لأن الحبل السرى يلتف حول رقبته ويكاد يخنقه . . فأسرعت بقطعه . . ولكنها هزت رأسها فى حزن فلما سُئلت : لماذا أنت حزينة؟ أجابت : لأن الطفل الجميل سيلاقى فى حياته صعوبات وقيوداً كثيرة . .

وتمضى الأيام . . وتنسى الأسرة هذه النبوءة المتشائمة . . ويشب صبحى . . ويعيش طفولة سعيدة . . وكان متفوقاً فى دراسته . . وكثيراً ما كانت أمه تجلس إليه وتحكى له الحكايات الخيالية والأساطير . . مما جعله يعشق قراءة القصص والروايات . .

وكان الفتى شعلة من النشاط والحيوية . . يلعب كل الألعاب . . يهوى



الرسم والموسيقى ومحاكاة الأصوات .. وإصلاح الأشياء .. أما هواية القراءة فقد بدأت لديه فى سن مبكرة؛ حيث أقبل يشترى من مصروفه اليومى المجلات .. وروايات الجيب وقصص للجميع .. وينشئ مكتبة صغيرة له فى البيت ..

ويلتحق صبحى بمدرسة الإبراهيمية الثانوية بجاردن سيتى .. وكان من المتفوقين فى الدراسة .. حتى جاء اليوم الثالث والعشرين من ديسمبر عام ١٩٤١م (وهو فى الرابعة عشرة من عمره) وكان قد انتهى من لعب الكرة مع أصدقائه .. وفى طريق عودته إلى البيت أحس بألم شديد فى كعب قدمه اليمنى ..

لم يهتم بهذا الألم فى البداية .. لكنه فوجئ بأن الألم يمتد بسرعة إلى الركبة اليمنى ثم يمتد عبر فخذه .. ثم يمتد إلى ساقه اليسرى كذلك .

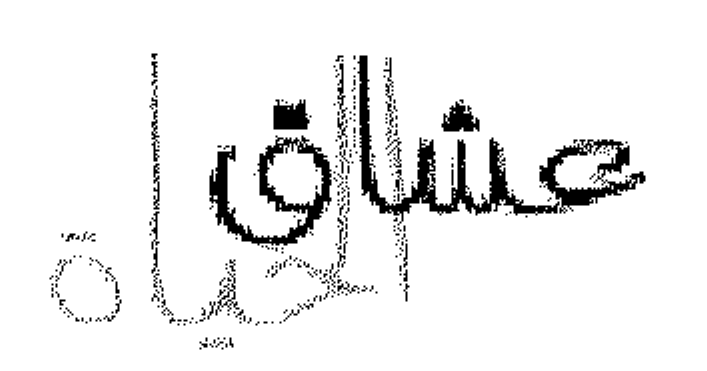
أسرع أبوه إلى الأطباء .. فشخصوا المرض بأنه روماتيزم حاد يصيب المفاصل .. وبدأ يتناول أدوية كثيرة .. لكنها لم تكن ذات جدوى ..

وينقطع صبحى عن الدراسة سنتين طويلتين .. قرر بعدهما أن يواصل دراسته راقداً فوق سريره .. ومن ثم ساعده أخوه فى إحضار الكتب حتى استطاع أن يتفوق بنظام المنازل ..

ويستمر الألم ينهش جسد صبحى ..

لم يعد جسده يتحرك ما عدا الكتفين .. ونصف الذراعين وأصابع اليد .

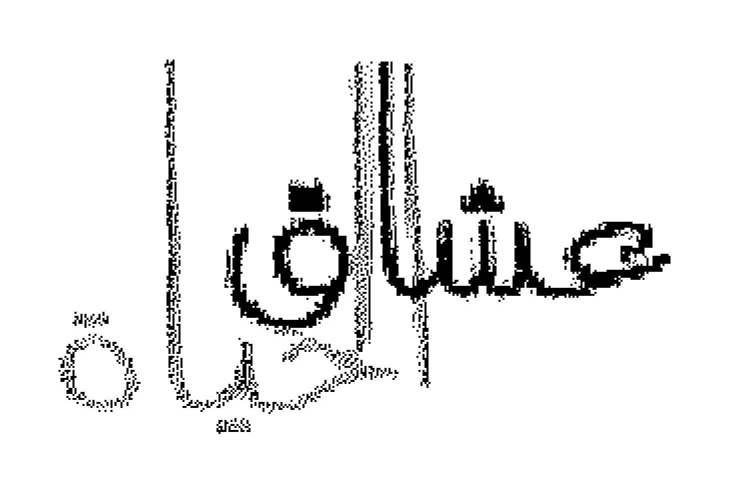
لكن صبحى الجيار بما يملكه من إرادة وأمل .. لم يستسلم لهذا



اليأس.. بدأ من نقطة الصفر – على حد تعبيره – فتناسى هذه القيود جميعًا.. واستطاع بموهبته وقلمه أن يثقب جدار سجنه هذا إلى عالم أرحب. كان يؤمن بالحكمة التى تقول : الحياة كأس مملوءة إلى نصفها .. يرى المتفائل نصفها المملوء .. أما المتشائم فلا يرى إلا نصفها الفارغ .ومن ثم كان صبحى متفائلاً برغم هذه القيود اللعينة .. وبدلاً من الصمت والجمود أخذ ينبش فى زوايا نفسه باحثًا عن مواهبه الدفينة .. فأمسك الفرشاة ليرسم.. والقلم ليكتب ..

ويحكى صبحى فى كتابه « ربع قرن من القيود » أن المرض أتاح له وقتًا طويلاً للتفكير والتأمل .. وفرصة كبيرة للاطلاع الغزير والإنتاج الأدبى والفنى فصار بذلك عضواً فاعلاً فى المجتمع يعيش مع الناس .. ويبتسم وهو يكافح ثم يتصل بالصحف والمجلات ويرسل إليها رسومه وقصصه .. ويراها منشورة باسمه .. فيدخل ذلك السرور والنور إلى وجدانه .. ويبدأ بكتابة القصص البوليسية .. وينشر قصته الأولى (من أول نظرة) فى عام ١٩٤٦ فى مجلة المصباح..

ثم تنوعت منشوراته بين الرسم والقصة المؤلفة والقصة المترجمة.. وتمضى الأيام فتغلق بعض المجلات أبوابها لصعوبات مادية .. ويفكر صبحى الجيار فى إصدار مجلة أدبية يبذل فيها كل طاقته وخبرته .. وفى يوم ٣ يناير ١٩٥٤م يصدر العدد الأول من مجلة (قصتى) فى شكل كتاب أدبى يقع فى مائة صفحة وبغلاف أنيق مطبوع بثلاثة ألوان . لكن نتيجة توزيع هذا العدد كانت مخيبة لآمال صبحى .. فقرر أن يضغط المصروفات ويقوم بنفسه بكل شىء .. الرسم والترجمة والتصحيح والحسابات والاتصال بشركات التوزيع..



وتمر الشهور .. ويرتفع توزيع المجلة وتحتضن أسماء كثيرة من كتاب القصة فى مصر .. والذين صاروا فيما بعد من رواد هذا الفن .. وبعد سبعة وعشرين عدداً لم يستطع صبحى أن يواصل أمام الخسائر المادية الكبيرة .. فتوقفت المجلة عن الصدور ..

ولم يندم صبحى على ذلك .. بل انطلق يفرغ طاقته الفنية من سريره الدائم إلى كل مكان .. ينشر ويترجم .. ويرسم بلا توقف .. ويفوز صبحى بجائزتين لنادى القصة فى عام ١٩٥٧م .. ويعلن يوسف السباعى سكرتير النادى تخلف صبحى عن الحضور .. فصار مرضه وساماً يرفع من قدره أمام أصدقائه ومحبيه .

وتصدر الصحف تشيد بموهبة صبحى الجيار الذى فاز بجائزتين .. ثم يدعو عبد الرحمن الشرقاوى إلى علاجه مع صديقه حسين القبانى فى الخارج على حساب الدولة .

ويسافر صبحى إلى لندن لأول مرة فى حياته معلقاً بسقف الطائرة .. لكنه يعود بلا علاج .. فيعيش هكذا صابراً فى قيوده .. حتى آخر رمق فى حياته ..

وبدأ يمارس حياته من جديد ويجتمع حوله أصدقاؤه ومحبوه .. وتقوم على خدمته سكرتيرته الخاصة السيدة نعمات عيسى التى أفنت عمرها فى خدمته اعترافاً منها بقدره وموهبته .

إنها مسيرة إنسان عظيم عاش بالأمل والصبر والتحدى حتى رحل عن عالمنا فى عام ١٩٨٧م مكملاً ستين عاماً من العطاء وحب الحياة .



عاش الفتى ستة عشر عامًا كما يعيش كل فتيان جيله .. دخل المدرسه الابتدائية وحصل على شهادتها فى عام ١٩٢٣ م .. ثم حصل على شهادة الكفاءة عام ١٩٢٥ م .. ثم رسم لنفسه حلمًا طموحًا ..تجسد فى ضرورة دخوله الجامعة كما يفعل المتفوقون ..

ويأتى العام السادس عشر من عمره (١٩٢٦م) فيصاب فى عينيه بمرض .. ولم تتمكن أسرته من علاجه .. ففقد بصره تمامًا ..

جلس الفتى يدير فى ذاكرته مشاهد الحياة من حوله .. وما تزخر به الطبيعة من جمال .. وما يحفل به العالم من مرئيات حسية مختلفة الألوان والأشكال والأحجام .. ثم سأل نفسه : ترى هل أحرم رؤية كل هذا إلى الأبد؟. وكأن هاتفًا يهتف به : هكذا أصبحت أيها الفتى فى ظلمة كاملة .. ففكر ماذا تفعل ؟

لم يستسلم عبد الحميد يونس لهذه المحنة العاتية . .فتقدم إلى امتحان لبكالوريا عام ١٩٣٠م ونجح فيه بتفوق . . وكان ترتيبه الثالث عشر بين مجموع الممتحنين . واجتمع عليه أهله . . وجاءه من يعرض عليه أن يكون ناظر مقبرة لأحد الأمراء فرفض ذلك بقوة . .

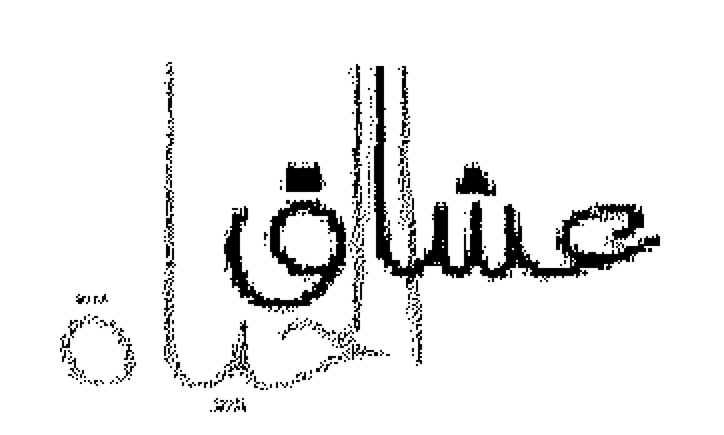
وجاءه من يعرض عليه أن يكون رئيسًا لمدرسة إلزامية صغيرة . .فنفر من ذلك العرض أيضًا . . وصمم على أن يواصل دراسته مهما كلفه ذلك الأمر . وتقدم إلى كلية الآداب جامعة القاهرة فى عام ١٩٣٦م حيث يواجه موقفًا لا يتصل بالكشف الطبى الذى تحتمه اللائحة . . وإنما يتصل بالامتحان الشفوى، فقد كان النظام الجامعى آنذاك يقضى بأن يمتحن الطالب فى جميع المواد امتحانًا تحريريًّا وامتحانًا شفويًّا . .

وكانت العقبة أمام عبد الحميد يونس هو رسم الخرائط على السبورة، وأصر الممتحِن أن يرسم عبد الحميد على السبورة . . لكنه لم يستطع ذلك ونال درجة ضعيف . . وجعله ذلك يمتنع عن الذهاب إلى الجامعة . . حتى عدلت اللوائح بعد ذلك وأعفى من رسم الخرائط . .

ويحصل عبد الحميد على الليسانس فى عام ١٩٤٠م . . والماجستير عام ١٩٤٦ . . والدكتوراه فى الأدب الشعبى عام ١٩٥٠م.

كان الرجل يتقن اللغة الإنجليزية إجادة تامة وكذا اللغة الفرنسية فلم تكن أمامه صعوبة فى الفهم والنقل عن اللغات الأخرى . .

وشغلته مشكلة البطالة زمنًا . . وتذكر هذا العرض القديم الذى عرض عليه ليكون ناظر مقبرة أحد الأمراء . . وتصور لو أنه كان قبل هذا العرض . .



لا لشيء إلا لأنه كفيف .. لا يصلح للتعليم ولا لأية مهنة أخرى ..

وحمد الله أنه لم يستسلم .. وأنه تحدى كل الظروف التى أحاطت به.. وأخذ يبحث فى موضوع البطالة ووسائل علاجها .. ونال عن هذا البحث جائزة المرحوم على ماهر عام ١٩٣٥م.

لقد اتخذ عبد الحميد من البصيرة أداة له على تحمل الحياة وسخافات البشر .. استنار بالبصيرة فأنارت له الطريق ..ووعى ما فى داخله من طاقات أودعها الله .. فجسد أحلامه وطموحاته بكل قوة واقتدار .. وها هو ينال وسام الجمهورية عام ١٩٥٥م وجائزة الدولة التشجيعية فى النقد الأدبى عام ١٩٥٨م .

ويعد عبد الحميد يونس من رواد الدعوة إلى دراسة الأدب الشعبى، وقد أثمرت هذه الدعوة إنشاء كرسى للأدب الشعبى القومى فى الجامعات العربية.. بعد أن كان مقصوراً على الأدب الفصيح .

ولم يكتف بذلك .. وإنما استثمر معرفته باللغات الأجنبية فقام مع بعض زملائه بتنفيذ مشروع ثقافى ضخم هو ترجمة دائرة المعارف الإسلامية .. التى تعد من أفضل دوائر المعارف المعاصرة ..وإلى جانب اللجان الأدبية التى يشترك فيها ومؤلفاته المتعددة فى مجالات الأدب الشعبى .. وترجماته عن اللغات الأخرى . كان يكرس من وقته وجهده لرعاية المكفوفين .. فكان رئيسًا لجمعية النور للنهضة بمكفوفى مصر .. ونائبًا لرئيس المركز النموذجى لرعاية المكفوفين .. وترجم كتابًا مهمًّا فى مجال المكفوفين هو (رحلة فى عالم النور) .



وكما حدث وأصيب عبد الحميد فى عينيه وهو فى السادسة عشرة من عمره أصيب ولده أحمد كذلك فى عينيه وهو فى الرابعة من عمره .. لكن هذه المحن وغيرها جعلت منه رجلاً صلبًا لا ينحنى للعواصف .. بل جعلته عاشقًا للحياة ..

* * *



لم يكد الطفل يبلغ العاشرة من عمره حتى أحس بآلام حادة فى قدمه اليسرى، ومع تأوهاته حمله أبوه إلى صديقه الدكتور إبراهيم على باشا رائد الجراحة فى مصر آنذاك .. ولم يكن أمام الطبيب سوى أن يقطع ساق الطفل تخلصاً من هذه الآلام ..

ويعود الطفل إلى قريته (قرية الديرس مركز أجا دقهلية) ليجد أباه قد فارق الحياة .. ويشاء القدر أن يبدأ محمود أبو الوفا حياته بهذه المأساة المزدوجة .. بتر ساقه وفقد أبيه .. ليعيش بها طوال عمره ..

ترى ماذا يفعل هذا الصغير .. وكيف يحيا ويرسم مستقبله ..

لقد أحس أن قريته لم تعد تلك الطبيعة الساحرة .. ولم يعد أهلها أهل السماحة والكرم .. فقد أحس بنظرات الناس تشفق عليه وهى تراه بساق واحدة، وقد أمسك بعصا يتوهم أنها ساقه الأخرى ..!



كانت مرارة الحرمان من ممارسة الطفولة تتسلل إلى داخله حتى صارت عبئًا على نفسه البريئة الصغيرة ..

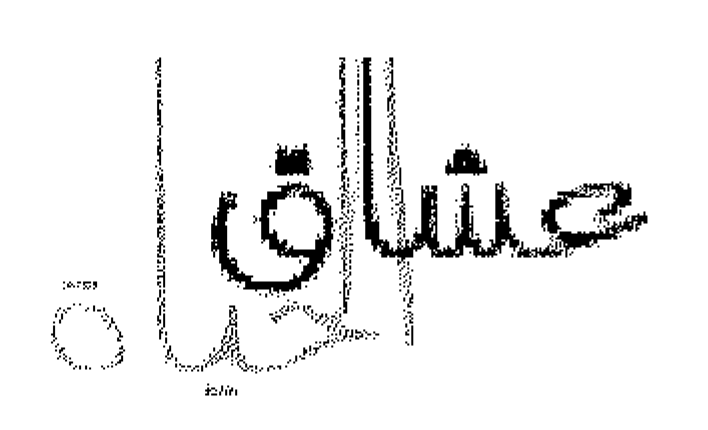
وفى صباح أحد الأيام أحس بأن كل شىء من حوله بمثابة القيود الفولاذية فدخل على أمه والدموع فى عينيه، وطلب منها أن تعطيه جنيهين .. وأسرع مسافرًا إلى القاهرة .. هروبًا من هذه الهواجس التى ينوء بها .. كان الطفل يقرأ فى مكتبة أبيه كيف كان يرحب الحكام والخلفاء بالشعراء .. وكيف كان المتنبى يرسل تابعه إلى سيف الدولة فيهمّ للقائه .. لماذا إذن لا يطلب مقابلة السلطان حسين ..

اقترب محمود من مكتب البريد وأرسل برقية إلى السلطان تقول: " مولاى إنى مغلوب فانتصر " .

ثم اقترب من قصر السلطان ووقف أمام البوابة الكبرى فترة طويلة لعل السلطان يستجيب له ويطلبه للقائه ويلحقه بعمل يليق به .. لكنه لفت نظر الحراس .. فسألوه لماذا تقف هكذا ؟ فأخبرهم بما يريد .. فيرد عليه أحد الحراس :

– يافتى .. لا تستطيع أن تقابل السلطان إلا بواسطة أحد الباشوات .. كانت هذه الإجابة كفيلة بإغراقه فى اليأس والحرمان .. فعاد إلى قريته خائبًا حزينًا ..

– لم يكن أمامه إلا الانتصار على هذا الشعور الذى يشتعل داخله، فلم يجد سوى أن يثقف نفسه ويقرأ مكتبة أبيه ..



ووجدها فرصة للسفر إلى دمياط حيث لقى على أفندى العزبى أحد أصدقاء أبيه وأحد الشعراء الكبار آنذاك .. وكان يعمل ناظرًا لمدرسة الفتوح..

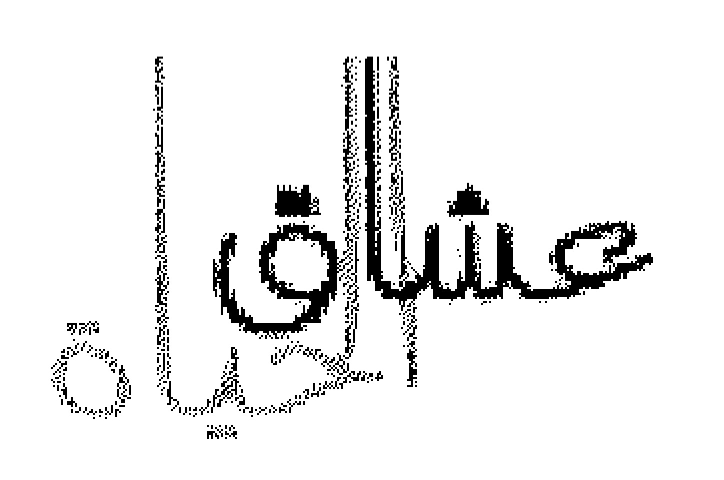
رحب به على أفندى وألحقه بمعهد دمياط الدينى .. كما وجد له عملاً فى المدرسة التى يقوم على إدارتها ..

ولم يوفق فى المعهد الدينى لأنه أثار عليه أساتذة المعهد وهو يسألهم أسئلة محيرة خارج المنهج الدراسى .. فأبعدوه عن الدراسة فى المعهد .. وسمحوا له أن يؤدى الامتحان (من منازلهم) .

وفى العام التاسع عشر من عمره (١٩١٩م) رحل إلى القاهرة لعله يجد فيها عملاً مناسبًا .. لكنه أخفق فى الحصول على وظيفة .. فلجأ إلى العمل الحر .. وفتح محلاً يبيع فيه السجائر .. وخسر .. وفتح مطعمًا للفول .. وخسر أيضًا .. وكان قد بدأ يتقن الشعر .. فأحس أنه لن يفلح فى أى عمل تجارى وأن حياته سوف تؤدى به إلى ساحة الشعر فحسب .. وفجرت ثورة ١٩١٩م على لسانه قصائده الوطنية .. ولم تقعده ساقه المبتورة عن المشاركة فى هذه الثورة .. وهو يقول :

ياذوى العرفان من مصر   اكسحوا عن أرضكم هذا الوخم.

وتبدأ رحلة أبى الوفا فى الندوات الأدبية .. ويعرفه الوسط الأدبى وفى عام ١٩٢٧م أعلنت الدولة عن مسابقة لإقامة مهرجان شعرى تكريمًا لأمير



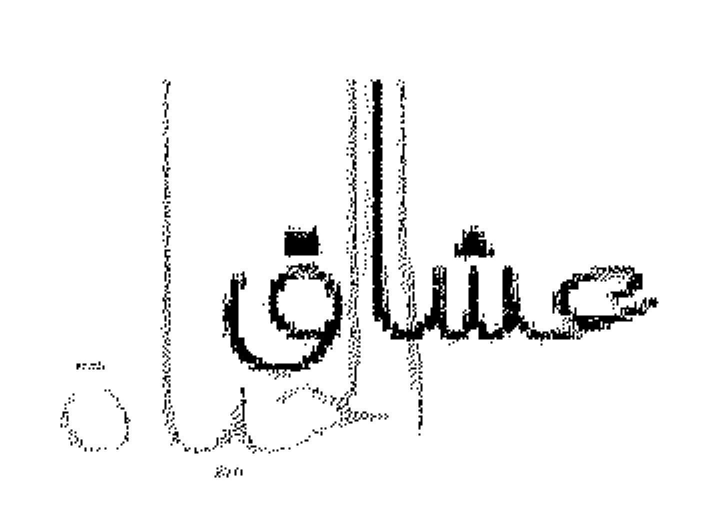
الشعراء أحمد شوقى .. فتقدم أبو الوفا إلى هذه المسابقة وكانت قصيدته الأولى .. ومن ثم وجهت له الدعوة لإلقائها فى حفل يقام فى معهد الموسيقى العربية..

ويدخل شوقى باحة المعهد فيرى رجلاً يستند على عكاز ويلبس الجلباب، فأخبروه بأنه الشاعر محمود أبو الوفا الذى فاز فى المسابقة وسوف يلقى قصيدته فى المهرجان .. فتأفف شوقى من هيئته .. وصاح : إما أنا و إما هو ..! وعلى الفور أسرع أبو الوفا يقول له :

– بل أنا الذى أخرج يا شوقى بك .. لأنك عريس الليلة ! وأسرع إلى أقرب مقهى .. يسجل مشاعره :

فى ذمــة اللـه نفسٌ ذاتُ آمال
وفى سبيل العلا هذا الدمُ الغالى
بذلتُه لم أذقْ فى العمرِ واحدةً
مـن الهـناء ولا مــن راحة البالِ
كـأننى فـكرة فــى غيـر بيئتها
بـدت فلم تـلق فيـها أىَّ إقبـالِ
أو أننى جئتُ هذا الكون من غلطٍ
فضاق بى رحبُه المأهول والخالى

ويبدأ أبو الوفا رحلة نشر الشعر .. ويغنى له عبد الوهاب : عندما يأتى



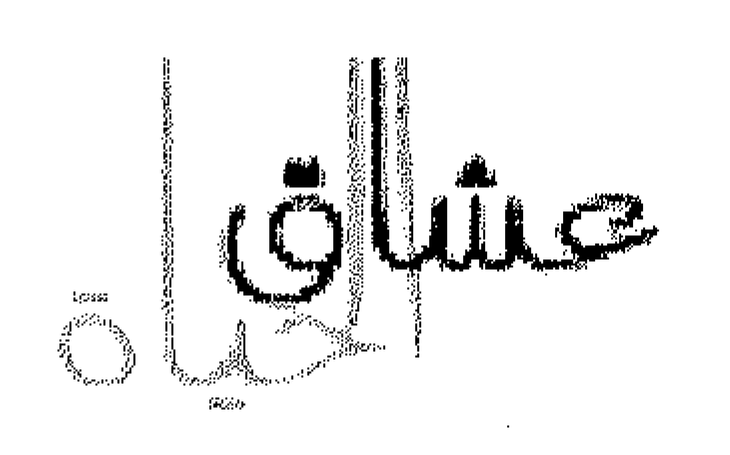
المساء .. ويصل ذلك إلى سمع أحمد شوقى .. فيسعى إليه معتذرًا ويشترك فى حفل تكريمه قائلاً:

خلَف البهاءَ على القريض وكأسه
فسقى بعذب نسيبه العشاقا
البلبل المغردُ الذى هزّ الربى
وشجى الغصون وحرك الأوراقا
سبَّاق غايات البيان جرى بلا
ساق .. فكيف إذا استرد الساقا
غالى بقيمته فلم يصنع له
الا الجناح محلقًا .. خفاقا

وشكره أبوالوفا .. وصارا صديقين ..

ويسعى له أصدقاؤه لدى إسماعيل باشا صدقى لكى يعالج فى الخارج على نفقة الدولة .. لكنه يكتشف أن الموافقة لن تتم إلا بكتابة أبيات قليلة من مدح الباشا .. فرفض .. لكن السيدة هدى شعراوى استطاعت أن تتوسط دون إهانة الشاعر .. وسافر إلى باريس ليحصل على ساق صناعية ..

ويتقلب محمود أبو الوفا فى بعض الوظائف الأدبية، لكنه ظل محافظًا على كرامته طوال عمره.

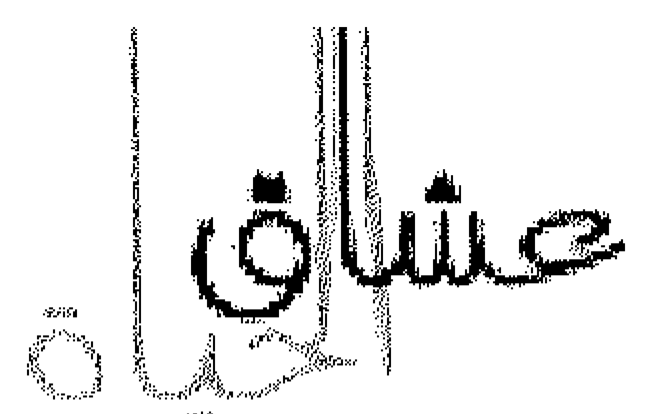


و فى عام ١٩٦٩م حيث أصيب بالعمى .. بعد تسعة .. وفى عام ١٩٧٢م أصيب بالذبحة الصدرية .. وظل يعانى آلامها حتى عام ١٩٧٩ حيث رحل عن العالم ولسان حاله يقول:

علينا نؤدّى للحياة رسالةً	هى الحبّ حتى ليس للحب مانعٌ
كذلك أدعو الطير تحيا هواتفًا	مغردةً ما عاش فى الروض ساجعُ

رحل محمود أبو الوفا تاركًا لنا نموذجًا عظيمًا لعشق الحياة .. والعطاء الذى لا يتوقف أمام أية محنة..

* * *





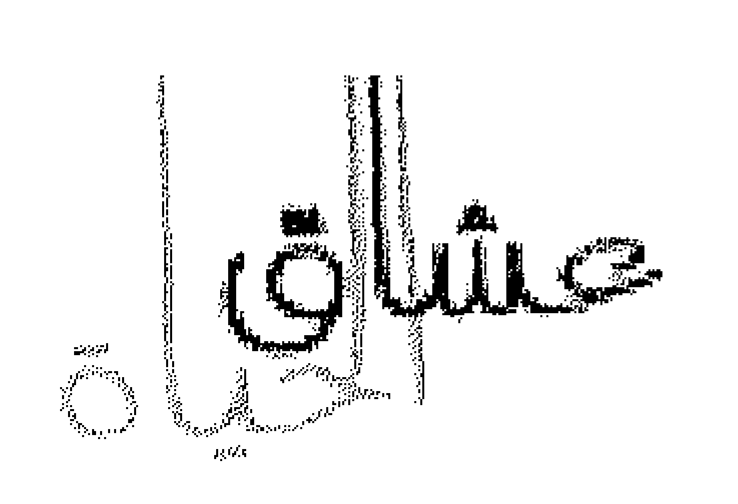
حسين القبانى والصعود فوق المحن

كان الحاج محمد القبانى يعمل بالتجارة .. وكان قد طلق زوجته الأولى (هند) ومعها أولاد ثلاثة .. وتزوج بأخرى سرعان ما رحلت عن الحياة تاركة ثلاثة من الأولاد الصغار .. كان أكبرهم هو حسيناً .. وأوسطهم جمال..و أصغرهم فاطمة ..

وفى عام ١٩٢٧م – وقرر الحاج محمد القبانى أن يحج إلى بيت الله الحرام ..

ويذهب الأب إلى الأراضى المقدسة، لكن شاء الله ألا يعود إلى وطنه وأولاده ويدفن هناك .. مات الأب تاركًا إيرادًا شهريا لا يقل عن مائة جنيه – وكان هذا مبلغًا كبيرًا آنذاك – وكان إيرادًا كفيلاً بأن يعيش الأولاد حياة كريمة فى بيتهم الكبير بجزيرة الروضة بالقاهرة ..

لكن لم تسر الأمور كما ينبغى .. وسرعان ما اقتحمت مطلقة الأب



وأبناؤها البيت الكبير وأقامت فيه .. بل رفعت قضية لضم الأولاد إلى أخيهم الأكبر (هاشم) .. حتى تستفيد هى وأبناؤها من ميراث الأب الكبير ..

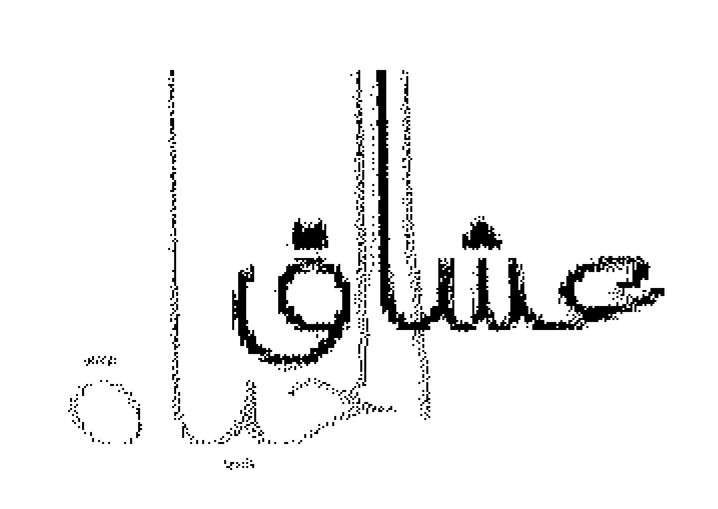
بدأ الطفل حسين يفاجأ باقتحام اليتم والحرمان وقسوة زوجة الأب التى صممت على أن يعيش حسين وأخوه جمال فى البدروم الرطب من البيت الكبير .. وأن تعيش فاطمة مع جدها فى ميت غمر .

لم يكن هذا البدروم صالحًا لحياة بشر ولا حيوان .. وكثيراً ما ملأته مياه الفيضان فى شهرى أغسطس وسبتمبر .. فى حين عاشت المرأة مع أبنائها يستمتعون بالطابق العلوى المؤثث جيداً وبالولائم الصاخبة .. وكثيراً ما كانت المرأة تطلب من حسين وجمال أن يقوما بأعمال الخدم والنظافة برغم وجود خدم فى البيت .. فإذا حاولا العصيان .. عاقبتهما بالحرمان من الطعام ومن المصروف اليومى الضئيل .

وتتوالى أيام الشقاء والحرمان وسوء المعاملة ورطوبة الجو فى البدروم والآلام النفسية واليتم .. حتى جاء يوم حاول فيه حسين أن يقوم من نومه ليذهب إلى المدرسة مع أخيه جمال كعادتهما .. لكنه لم يستطع، فقد شعر بأنه محموم عاجز عن النهوض من الفراش .. وإذا ركبتاه يصيبهما ورم وألم شديدان لا يدرى من أين جاءا .

لاحظ جمال عدم قدرة أخيه على النهوض ..

وحاول أن يساعد أخاه على النهوض .. لكنه اكتشف عجزه عن ذلك فجلس بجواره حزيناً .. لكن حسيناً طلب إليه أن يذهب هو إلى المدرسة ويتركه ..



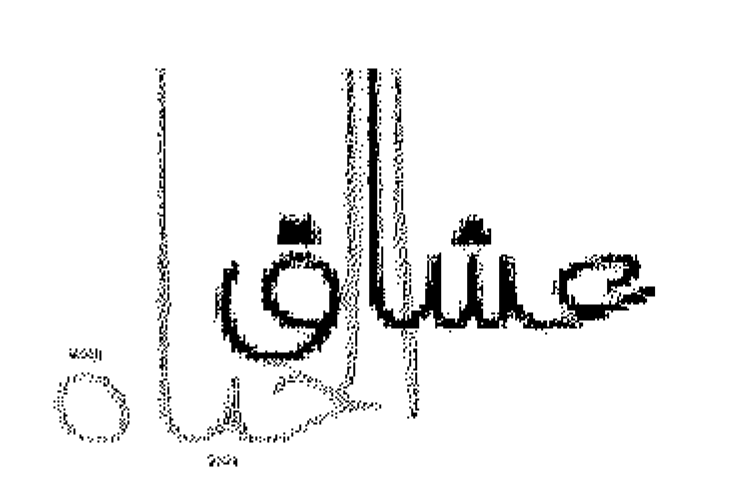
عاد جمال من المدرسة ظهراً فرأى أخاه يزداد وجعًا وألمًا واكتشف أن أحداً لم يسأل عنه .. لا مفر إذن من الركود فى هذا الجو الرطب .. وملازمة أخيه له ومساعدته فى كل شيء .

ويصل الأسرة خطاب من المدرسة يهدد بفصل حسين .. فيهبط إليه الوصى " أخوه الكبير من زوجة الأب " ويطلب الذهاب إلى الطبيب لاستحضار شهادة طبية تتيح له التقدم لامتحان آخر العام .. وقرر الطبيب أن الفتى مصاب بنزلة معوية حادة .. وروماتيزم حاد وباراتيفويد .. وخشيت زوجة الأب وأبناؤها على أنفسهم من العدوى فأرسلوا به إلى قسم الأطفال بمستشفى " الملك " بالمنيرة حيث مكث هناك خمسة عشر شهراً ..

ويقرر الأطباء خروج حسين من المستشفى بعد أن يئسوا من شفائه، وكان قد صار مقعداً تماماً ..

ويحاول الجد فى القرية أن يعزل الوصى – الأخ الأكبر – لأنه أساء التصرف وتسبب فى مرض حسين .. لكن المحاولات باءت بالفشل .. وكان مرض حسين قد تسبب فى انقطاعه عن الدراسة أربع سنوات لكنه – وقد صار يتعايش مع محنته – قرر أن يستأنف الدراسة .. فحصل على الشهادة الابتدائية فى الوقت الذى حصل فيه شقيقه على شهادة الكفاءة (الثانوية) .

وتنتقل الأسرة الصغيرة : حسين وجمال وفاطمة إلى حى باب الشعرية فى غرفة صغيرة .. ويواصل حسين تعليمه .. واعتمد الإخوة الثلاثة على أنفسهم .. ثم انتقلوا فى أطراف ضاحية حلوان .. وكان حسين قد بدأ يقرأ



كل ما يقع فى يده من كتب .. فإذا ملّ القراءة تناول فرشاة الرسم بالزيت ليرسم المناظر الطبيعية .

وفى يوم قرأ سيرة ذاتية لأحد كبار الكتاب .. وكيف بدأت محاولته الأولى للكتابة .. وهنا سأل نفسه : أنت تقرأ كثيراً فلماذا لا تكتب ويكون لك اسم شهير فى عالم الإبداع ..

كان ذلك فى نوفمبر ١٩٤٠م حيث أمسك القلم ليكتب قصة قصيرة ولم يتوقف منذ ذلك التاريخ عن الكتابة والنشر .. وسمع يوماً عن معهد بريطانى لتعليم الصحافة والتأليف عن طريق المراسلة فاشترك فى هذه الدراسة واستفاد منها كثيراً ..

وفى عام ١٩٤٧م صدرت له أول مجموعة قصصية بعنوان (يقظة الروح) ومنها أول قصة كتبها (زوجة الأب) .. وفاز بالمجموعة فى مسابقة نادى القصة ..

وفى عام ١٩٤٩م صدرت له رواية (دعاء الفجر) وهى رواية طويلة .. وفى عام ١٩٤٨م أصدر مجلة (المهرجان) التى تهتم بالقصة القصيرة..

وتتوالى أعماله المؤلفة والمترجمة طوال حياته التى عاشها ببساطة وقوة وإرادة وأمل .. متحملاً كل الصعاب والمشاق .. فكان مثلاً رائداً لمن يعشقون الحياة .. ويعيشون حياتهم بكل ما فيها من جمال واستمتاع ..

* * *



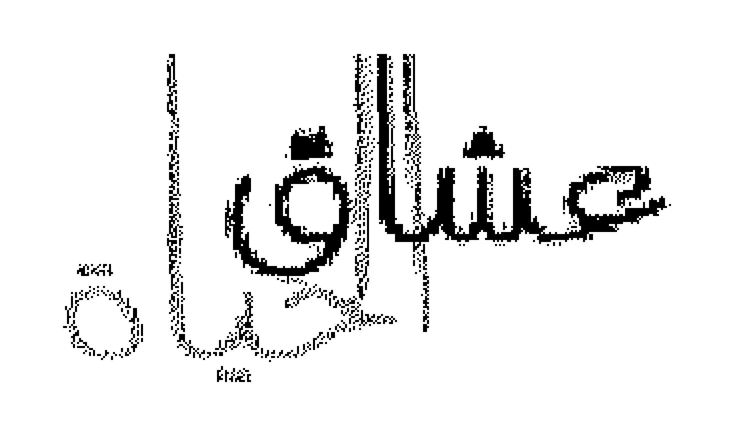
محمود صبح والفن الجميل

ربما ذهبت يومًا لتستمع إلى الموسيقى العربية القديمة .. وتستمتع بتلك النغمات العذبة التى كانت تعبر عن صدق المشاعر والقدرة على إشعال الروح بالعاطفة والمتعة الثمينة ..

ولابد أن البرنامج لهذا الحفل كان يضم موشحًا أو مقطوعة موسيقية أو قصيدة مغناة للموسيقى البارع محمود صبح ..

إن محمود صبح كان أحد البارعين فى فن الموسيقى والغناء خلال النصف الأول من القرن العشرين في مصر .. لكنه عاش بمحنة شديدة لازمته منذ كان فى الرابعة من عمره .. وهى محنة كف البصر..

فقد ولد فى عام ١٨٩٨م طفل أسماه أبوه (محمودًا) .. وكان يتمنى الأب أن ينشأ هذا الطفل ويشب ليساعده فى عمله وتجارته للأخشاب .. لكن القدر قد رسم له طريقًا آخر .. حينما رمدت عيناه فى الرابعة من عمره



وبذل الأب كل جهده فى علاجه بلا جدوى .. وتسبب ذلك فى انطفاء نور عينيه ..

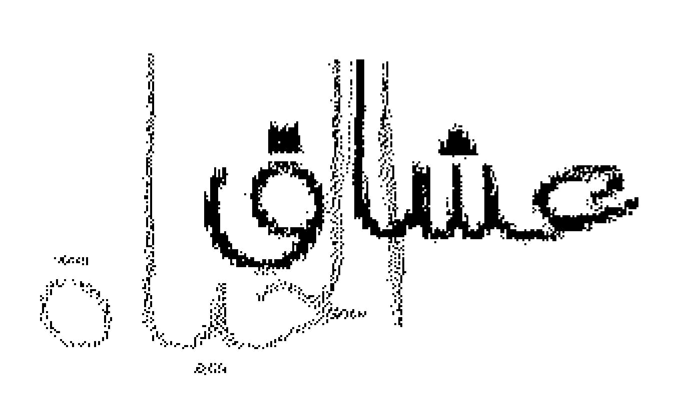
لم يجد الأب أمامه سوى الرضا بما قسمه الله وقضاه .. فأدخل ولده الكتاب لحفظ القرآن .. ولم يبلغ العاشرة حتى أتم حفظ القرآن وتجويده .. لكن علاقته بالكتاب لم تمنعه من ممارسة طموحه الخاص.. فكان يجمع حوله أصدقاءه ويكوّن منهم (جوقة) وينشد معهم أناشيد المولد .. كثيراً ما كان يسير فى مواكب رؤية رمضان .. ينشد الأناشيد الدينية بصوته الصغير .. ويعجب به الناس .. كما أحب تلاوة القرآن الكريم ..

أما ممارسته للعب .. فقد كان يحب لعبة الخزروف (النحلة) حيث كان يرميها على الأرض.. لتدور بصوتها المنتظم .. ثم يطأطئ رأسه منحنيًا إلى الأرض ليسمع صوتها وهى تتحرك وتدور ..

كما كان يصنع عودًا بدائيًّا صغيراً ويشد خيوط الدوبارة بين خشبتين ويضرب علية ويغنى .. تعلق إذن يحب الموسيقى منذ نعومة أظفاره .. وكان ذا صوت حسن عريض .. يمكن أن يستوعب ألحانًا صعبة بسهولة شديدة ..

كان الشيخ محمود وهو فتى .. يحب أن يزور أصدقاء أسرته من أصل تركى .. فأعجبته هذه اللغة .. وقرر أن يتعلمها لكى يستطيع التحدث بها معهم .. وكان تعلمه لهذه اللغة فتحًا لتعلم ومعرفة كثير من الموسيقى التركية وفن الغناء هناك ..

وفى البيت التركى طرق سمعه (البيانو) .. فطلب أن يتحسسه



ويعزف عليه السلم الموسيقى.. وبسرعة فائقة استطاع أن يتعلمه ويعزف عليه بمهارة .. وكان هذا أول عهده بالآلات الموسيقية .. وكان آنذاك فى الرابعة عشرة من عمره .

تم تعلم آلة العود بطريقته الخاصة .. وكانت له طريقته المميزة فى العزف .. ولم يكتف بذلك.. بل أخذ يقرأ القرآن فى المساجد والاحتفالات بصوت رخيم جميل .

جمع إذن فى ثقافته الموسيقية بين الشرقية والتركية .. وأخذ ينهل منهما .. ويؤلف ويغنى بأسلوبه الجميل .

وقام بتلحين أول موشحة له وهو فى الخامسة عشرة واستمع إليه الشيخ سلامة حجازى الموسيقى المعروف فتنبأ له بمستقبل باهر فى عالم الغناء والموسيقى.

وكانت مصر فى أوائل القرن العشرين تحفل بمدارس موسيقية كثيرة وكانت المنافسة على أشدها بين سيد درويش وسلامة حجازى وعبده الحامولى ومحمد المسلوب وغيرهم .. فقرر محمود صبح أن يدخل هذه المنافسة الفنية بأعماله المختلفة حتى لفت إليه الأنظار ..

وكان يتميز بالزهد ولا يهمه المال .. بل كان كل أمله أن يتفوق فى الموسيقى فقد أحبها وجعلها طموحه الأول فى حياته .. وكثيراً ما كان يصاب بضائقة مالية .. لكنه كان يأبى دائماً أن يبتذل بفنه حتى يفرج عن نفسه هذه الضائقة .. بل كان معتزًّا بكرامته مخلصًا لفنه ساميًا بكل هذه القيم التى يسعى إلى تحقيقها .

لم يعقه كف بصره عن تحقيق ما يتمناه .. بل شق طريقه فى إصرار وعزم وإرادة .. غير عابئ بسخرية الناس .. أو آرائهم فيه .. وكثيراً ما نشرت الصحف ما أسعده وما أحزنه .. ولكنه كان واثقًا من قدرته على العطاء .. ولم يضق بأى نقد وجه إليه ..

ويذكر أنه فى عام ١٩٣١م أملى على ولده خطابًا وجهه إلى أحد الباشوات الذين يعزهم ويعزونه .. عاتبه فيه عتاباً شديداً على أمر بدر منه، فما إن وصل الخطاب إلى الباشا حتى سعى إليه مهرولاً فى بيته .. وكان محمود صبح فى الدور الخامس .. ووقفت عربة الباشا أمام البيت وأرسل من يطلب الشيخ محموداً .. لكنه قال للرسول : على الباشا أن يصعد لى فهو ضيفى .. وبالفعل صعد الباشا وأخذ يسترضيه حتى صفت نفسه .. وحينما بدأت الإذاعة فى بث برامجها كان الشيخ محمود صبح من أوائل الذين شاركوا بألحانهم فى بثها من الإذاعة .. وكان من أصدقائه الذين غنى لهم : أحمد رامى – محمود يونس القاضى – إبراهيم الدباغ – محمد غالب المهندس – د. حسين الأيوبى – محمود لبيب وغيرهم من مؤلفى ذاك الأوان ..

وفى أوائل عام ١٩٤١م هاجمه مرض لعين أودى بحياته بعد أن ترك لنا تراثًا موسيقيًّا رفيعًا .. ونموذجًا حيًّا للإرادة الإنسانية القوية .

* * *

الشخصيات الأجنبية

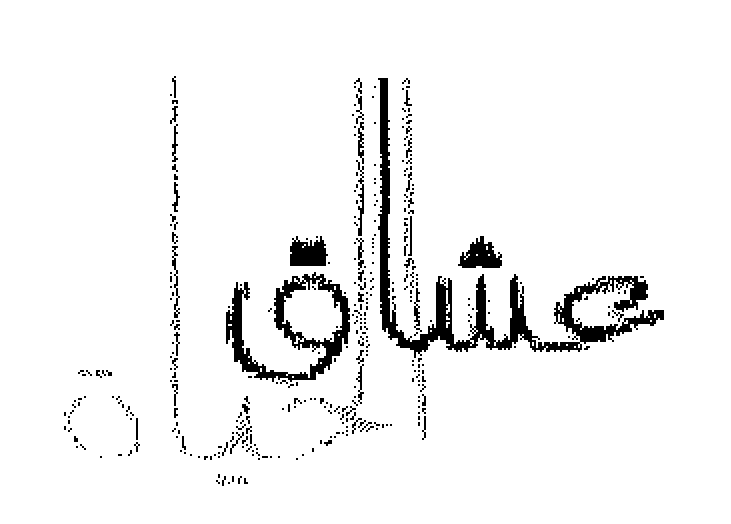


عانت الأم كثيراً حينما حان موعد الولادة .. ولم تكن العمليات القيصرية قد عرفت حتى تخلص الأم من هذه المعاناة ..

وتلد الأم بصعوبة .. فقد كان رأس الطفل كبيراً وبشكل غير عادى .. كان ذلك فى الحادى عشر من فبراير عام ١٨٤٧م.. حيث تلقى العالم ميلاد توماس أديسون ..

وظل كبر حجم رأس أديسون يعوقه عن المشى وهو طفل .. ويفقده توازنه وحار الأطباء فى علاج هذا العيب الخلقى .. بل خشى الأب أن يكون ولده من البلهاء الذين يتصفون بكبر حجم الرأس .. وكثيراً ما كانت الأم (نانسى) تتشاجر مع جيرانها وهم يسخرون من ولدها الذى يرونه دائماً يحنى رأسه فوق صدره .. ويطلقون عليه : (أبو رأسين) .

لكن هذا الرأس الكبير كان مملوءاً بالعبقرية التى بدت فى تفكيره وسلوكه وهو لا يزال طفلاً..



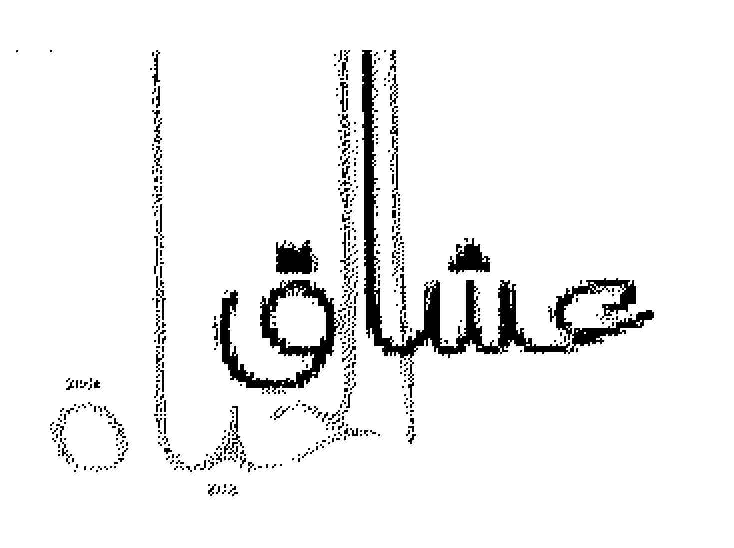
من ذلك مثلاً أن جيرانه كانوا يمتلكون عربة لها صرير مزعج يشكو منه كل الجيران .. ففكر أديسون كيف يمنع هذا الصرير .. ووصل إلى علاجه .. بتشحيم العجلات بدهن الطعام .. فانقطع الصرير ..

ويبلغ توماس السادسة من عمره فيدخله أبوه المدرسة .. لكنه لم يستطع الاستمرار فيها .. وغادرها بسرعة .. فقد استخف بالدروس الساذجة التى تلقى عليه ..

وتدرك أمه عبقريته المبكرة وتقف فى وجه أبيه الذى كان يقسو عليه ويراه كسولاً وغبيًّا وبليدًا .. وكثيرًا ما كان يضربه ويوبخه أمام أصدقائه .. قرر توماس وهو فى الثامنة أن يكون نافعًا للناس .. فبدأ يعمل فى البناء .. ثم تحول بعد أن قل دخله إلى بيع الخضار فى الأسواق من منتجات أرض أسرته .. وكان يعمل معه صديق له صغيرًا اسمه مايكل .. وقد عملا معًا .. وتمكنا من كسب أموال كثيرة .. لكن توماس أدرك أنه ليس مخلوقًا لكى يكون بائعًا أو بنَّاء .. فقد كان مفتونًا بالكيمياء .. يقرأ كثيرًا فيها .. ويشترى من ماله بعض الأدوات والقوارير .

وفى غرفة سفلية من منزل أبيه جمع أكثر من مائتى قارورة مملوءة بأشياء عجيبة .. وألصق عليها كلمة (سُم) وراح يجرى تجاربه الخاصة .

لكنه لم يكتفِ بذلك أيضًا .. فقد بدأ يكتب المقالات .. وأقنع أمه أنه سوف يعمل فى بيع الصحف .. وكانت سنه قد بلغت الرابعة عشرة ففكر أن يصدر بنفسه صحيفة من صفحة واحدة ويبيعها مع الصحف الأخرى فى القطارات ..



وحدث أن كان توماس يتخذ لنفسه مكانًا فى عربة البضاعة .. فاستغل أرباحه لعمل معمل كيميائى صغير فى ركن من هذه العربة .. يشمل أحماضًا وكيماويات كثيرة تجرى عليها تجاربه .

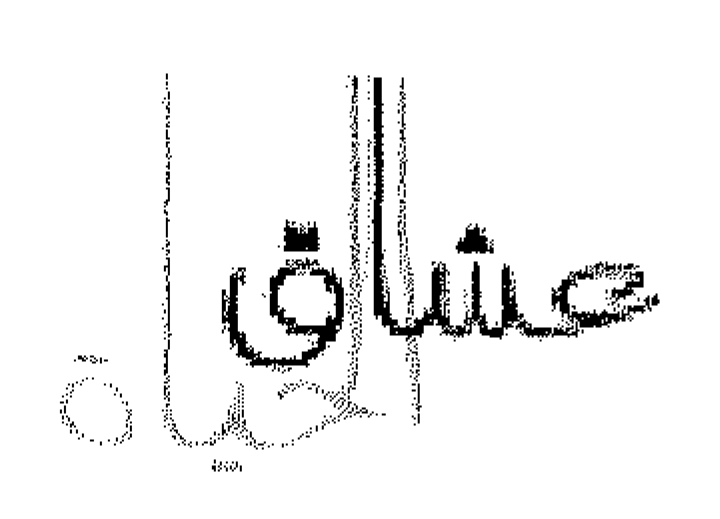
ومع اهتزاز القطار .. سقطت الزجاجات بالأحماض واشتعلت النيران فى العربة .. وجاء حارس القطار وانهال على توماس ضربًا وصفعًا على أذنيه .. مما أصابه بالصمم المؤقت .

ومرة أخرى أخذ يجرى وفوق صدره كمية من الصحف ليلحق بالقطار الذى تحرك من المحطة .. فما كان من محصل القطار إلا أن مد يده وأمسك بأذنيه يساعده على الصعود .

وبعدها أحس أديسون بضوضاء فى أذنيه .. ثم أصيب بالصمم الكامل .. وكاد يفقد بصره أيضًا فى حادثة أخرى حينما كان يجرى اختبارًا على سلك كهربى ملفوف .. فعلقت يداه بطرفى البطارية .. ولكى ينتزعها كان عليه أن يرجع إلى الوراء ويسحب سلك البطارية .. ولحسن حظه أغمض عينيه أمام انفجار حامض النيتريك الذى كان فى البطارية .. لكن وجهه شوه قليلاً .

ترى .. أكان هذا كله ثمن عبقريته ؟

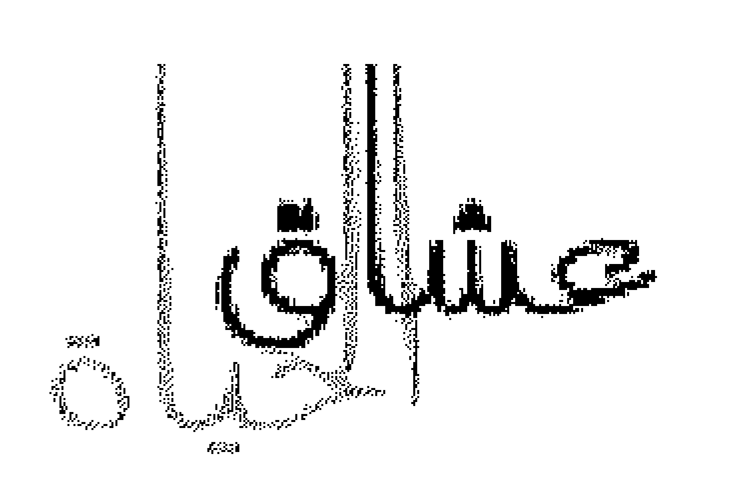
بدأ أديسون يجمع شتات ذاته وعقله .. وسجل أول اختراع له، وكان جهازًا كهربائيًّا يسجل تلقائيًّا أصوات الناخبين فى عملية الاقتراع .. ثم اخترع الفونوجراف . والمصباح الكهربى الذى أضاء العالم .. وودع به الظلام .. وآلة التصوير السينمائى .. وآلة العرض .. والمولدات الكهربية الضخمة



وغيرها من المخترعات التى تزيد على ألف اختراع .. لقد صار بيت أديسون معملاً لكل جديد يفيد العالم.. ودعنا نستمع الى أحد الزائرين لبيت أديسون .. أخذ موعداً، وأدخل فى غرفته الملكية التى تحتوى على أفضل الكتب والموسوعات العلمية .. وقد زينت الجدران أعلام العلماء والشهادات والأوسمة التى حصل عليها أديسون . ثم يدخل عليه أديسون ويستقبله فى حفاوة بالغة ثم جلسا معًا .. وكان إذا كلمه الزائر وضع يديه وراء أذنيه ليجمع تموجات الصوت ثم قال : أنا أصم .. فقد ضربنى حارس القطار على أذنى وأنا فى الخامسة عشر .. وجذبنى المحصل منهما لكى أصعد القطار فمزق طبلة الأذن .. ولكن الصمم لا يوقفنى عن طموحى .. ولو أمكننى أن أشفى منه ما اخذت الشفاء .. لأن الصمم ساعدنى على التركيز فى أفكارى .. ثم إننى لم أخسر كثيراً بعدم سماعى ما يقوله أكثر الناس ..

ويواصل العالم الأصم شرح برنامج يومه بقوله : إننى أبدأ عملى قبل الساعة السابعة بعشرين دقيقة فأطالع أولاً صحف الصباح .. ثم أتناول فطورى .. وأمضى إلى معملى فى الثامنة وأمامى فيه عمل كثير يستغرق ساعات طوال .. وفى نهاية الليل أدون ما سوف أقوم به من أعمال فى اليوم التالى .. وهكذا .

نحن إذن أمام صورة المخترع العالم الكامل فى أذهان الناس .. لم يهتم بمظهره يومًا .. ولم يجلس على كرسى الحلاق قط .. ولا يعبأ بمسرات الحياة ومظاهر الرفاهية فيها .. وكان الفريق الذى يعمل معه قد اعتاد على هذه الحياة ..

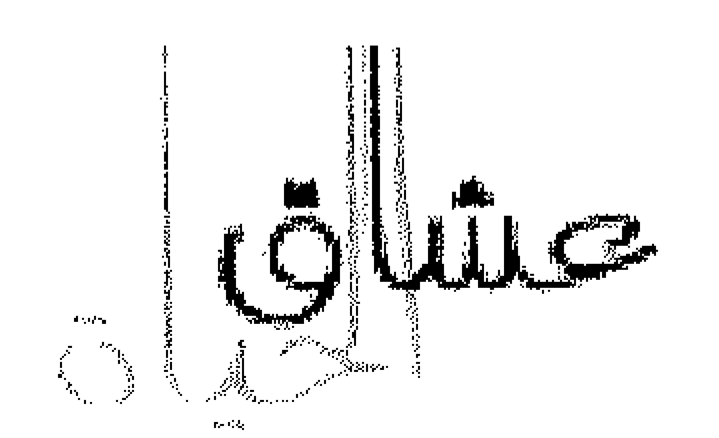


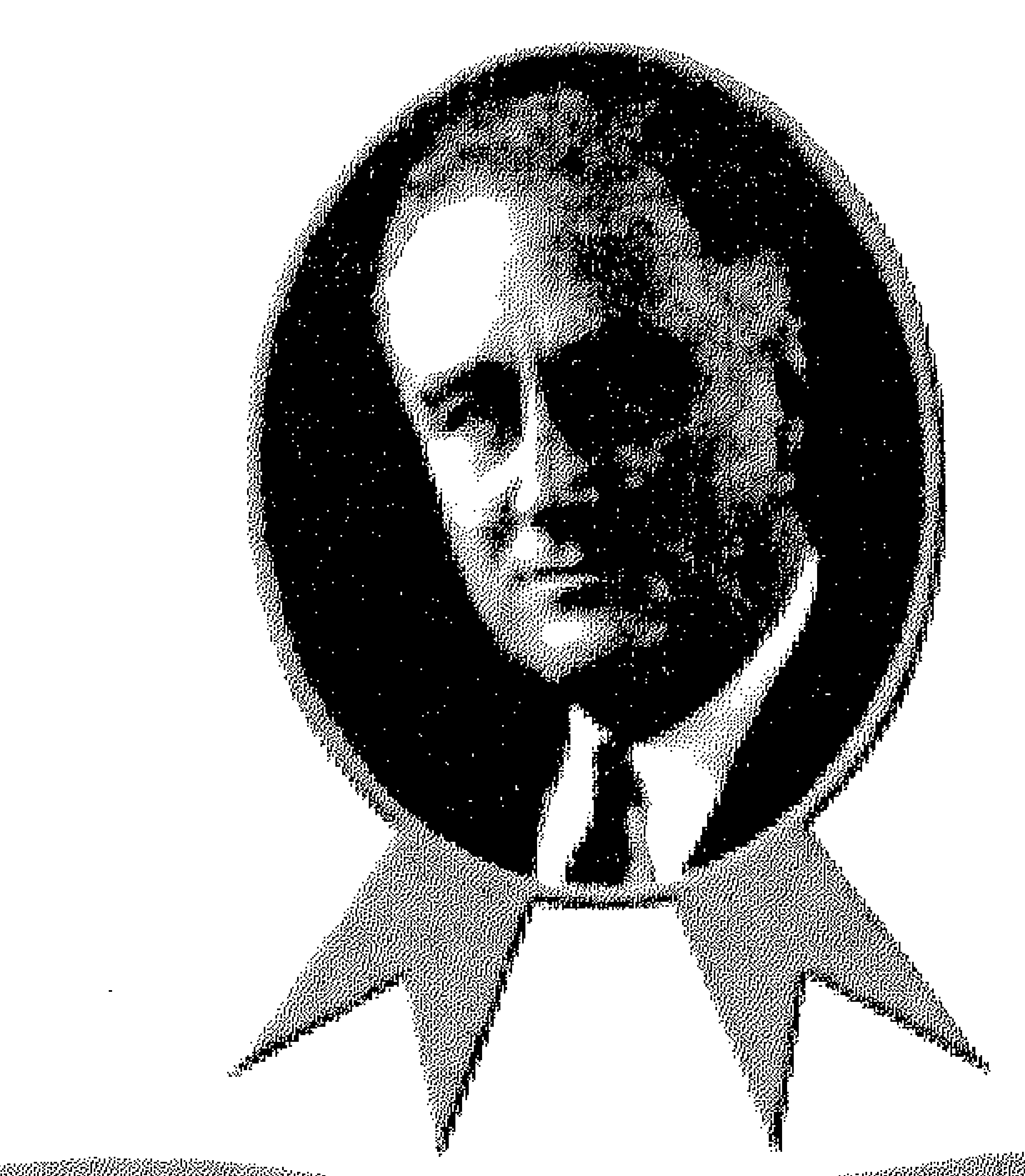
ظل أديسون – برغم صممه .. وتلك المحن التى عاناها – مخترعًا عظيمًا وعبقريًّا أفاد البشرية كثيرًا بما قدمه لها فى مجالات العلم المختلفة ..

لقد دهمه أخيرًا مرض فى ضيعته الخاصة مات على أثره وهو فى الرابعة والثمانين من عمره ..وكان ذلك فى أكتوبر ١٩٣١م. ولنستمع إلى زوجته وهى تتحدث عنه قائلة :

– لقد كان أديسون عميق الإيمان بالله .. وكان يردد دائمًا : إن الإنسان كلما تعمق فى العلم ازداد إيمانًا بالخالق العظيم، وإن كل ما يحيط به علم البشر لا يضاهى ذرة من علم الله ..

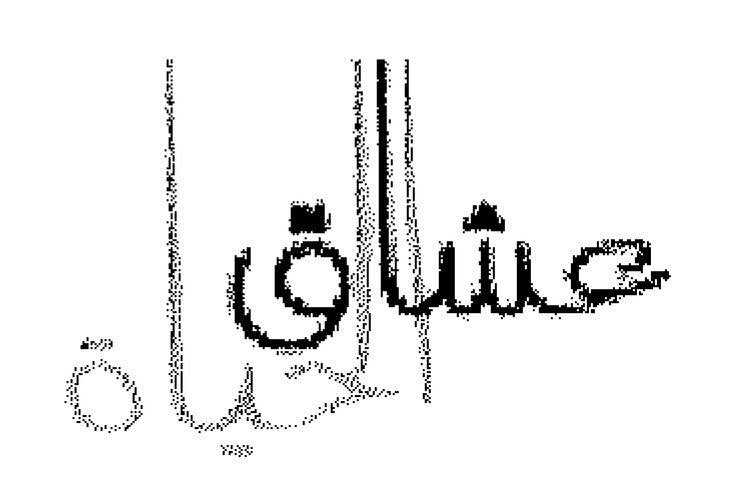
* * *





فرانكلين روزفلت زعيم على كرسي متحرك

يعد فرانكلين روزفلت أكثر رئيس أمريكى حظى بحب شعبه فى القرن العشرين. كان روزفلت نبيلاً بالوراثة .. ولد فى عام ١٨٨٢ فى قرية هايد بارك على نهر هارسون بولاية نيويورك .. وتلقى تعليمه بين المنزل والمدرسة حتى الرابعة عشرة من عمره .. ثم التحق بجامعة هارفارد وتخرج فيها عام ١٩٠٤م ثم درس القانون فى جامعة كولومبيا وعمل بالمحاماة . وبالرغم من هذه الحياة الهانئة .. كان مهتمًا بالبسطاء والفقراء .. مناضلاً من أجل حقوقهم المدنية .. وفى عام ١٩٠٥م تزوج من أليانور التى كانت فتاة هادئة الطبع خافتة الصوت، فبدأ روزفلت معها رحلة سياسية طويلة .. تقوم على الحب والتفانى. ويأتى عام ١٩٢١م حيث كان فى رحلة مع بعض الأصدقاء إلى جزيرة كامبوبيلو وهى إحدى جزر الشمال الباردة .. وعندما وصلوا إلى المياه الباردة نزل روزفلت يمارس السباحة.. وكاد يتجمد مع تجمد المياه .. وفى اليوم التالى رسوا باليخت على شاطئ الجزيرة .. فرأوا نيرانًا مشتعلة فى



أشجار الجزيرة .. فأخذوا يكافحون النار طوال اليوم حتى نجحوا فى إخمادها .. بعد أن أصابهم التعب والإرهاق .. ثم استحموا فى بركة ماء عذب طلبًا للراحة والاسترخاء.. ثم قاموا يركضون مسافة طويلة حيث كان البيت الذى ينزلون فيه وجلس روزفلت على كرسى يستريح فأحس بالعرق يبلل جسده كله كما شعر بإجهاد شديد .. فأسرع إلى فراشه لعله يأخذ راحته فى النوم .

وفى الصباح أحس أنه لا يمكنه الهبوط من الفراش .. وأحس بساقيه متصلبتين .. وحاول أن يحركهما .. ويدلكهما .. لكن لم تستجب ساقاه لأية محاولة .

نقل روزفلت إلى نيويورك على نقالة طبية .. وشُخِّص المرض بأنه شلل الأطفال .. واجتمعت حوله وسائل الإعلام يسألون، لكن سكرتيره الخاص خشى أن يخبرهم بالحقيقة، لأنه كان هناك اعتقاد بأن شلل الأطفال يتبعه خلل عقلى –وهذا ليس صحيحًا بالطبع – ولم يكن مصل شلل الأطفال قد اكتشف بعد .

ولعل السبب فى هذا المرض لدى روزفلت نتيجة المياه الباردة .. والمجهود الذى بذله فى إطفاء الحريق .. ثم هبوطه مرة أخرى إلى الماء . حاولت زوجته أليانور أن تتماسك .. لكنها لم تستطع أن تحبس دموعها أمام هذه الكارثة .

كان روزفلت يحلم بالمجد فبدأ يوهم نفسه أن ما حدث أمر طارئ .. وتظاهر بالتماسك .. وما هى إلا أيام حتى أعلن تحديه لمرضه موجهًا حديثًا للأطباء وأهله :

(من الغريب أن يقال : إن رجلاً مكتمل الرجولة يمكن أن يشفى من هذا

المرض .. ألستم تسمونه شلل الأطفال؟) .

وأقبلت عليه زوجته فى حب وقوة .. وصممت أن يكمل زوجها مشروعه الطموح فى ساحة السياسة .

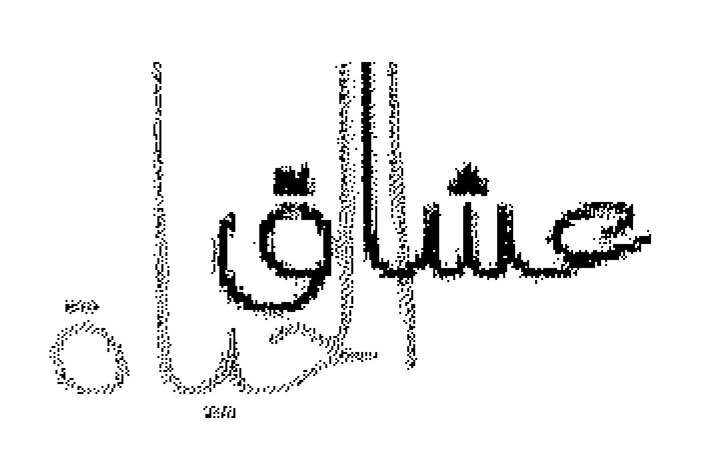
كان ذلك فى عام ١٩٢٨م حيث قام بترشيح نفسه لمنصب حاكم نيويورك، وذهب روزفلت على كرسى متحرك إلى مؤتمره الانتخابى وحاول بعض رجاله أن يحملوه إلى المنصة قبل حضور الناخبين .. حتى لا يراه الناس كسيحًا .. لكن زوجته رفضت ذلك بشدة وأصرت أن يصعد زوجها محمولاً أمام الناس ..

وأعجب الحاضرون بقوة إرادة الرجل .. وأعطوه أصواتهم .. ليكون محافظًا لمدينة نيويورك .. بدأ خطة إصلاحية قائمة على إنشاء نظام للتأمين الاجتماعى والمعاشات فى الولاية .. وتحسين أحوال المزارعين .. وتعديل قانون العقوبات .. وكان يدير هذا كله فوق كرسيه المتحرك .. وفى عام ١٩٣٢م رشح نفسه للرئاسة خلفًا للرئيس (هوفر) وحصل على أكثر من ١٢ مليون صوت .. وبهذا استطاع أن يصل إلى القمة برغم مرضه.. وبدأ روزفلت إصلاحه السياسى والاقتصادى .. وكان يقول :

(من احترم حقوق الآخرين .. فقد احترم حقه).

وأعلن العهد الجديد الذى يشمل برنامجًا سياسيًّا واجتماعيًّا يقدم الحلول لعدد كبير من مشاكل المجتمع الأمريكى ..

ويصر الشعب الأمريكى على انتخابه رئيسًا لفترات ثلاث .. باعتباره



الرئيس المناسب .. والزعيم المخلص لوطنه وشعبه .. واستطاع روزفلت أن يغير الفكر والبناء الاقتصادى .. ويوزع الدخل فى بلاده.. مما حقق زيادة فيه .. ويقضى على الفاقة والفقر والحرمان .. ويقرض الطبقات المتوسطة لتقوم بمشروعات وتحيا حياة كريمة .. وينادى بالاهتمام بالمعاقين وضرورة ابتكار مصل لشلل الأطفال ..

ولم يقعده مرضه عن الطواف بأرجاء بلاده وخارج وطنه أيضًا .. للقاء القادة والسياسيين من الحلفاء .. حتى إنه كان أول رئيس أمريكى يطير عبر الأطلنطى .. فقد سافر فى يناير ١٩٤٣م لحضور مؤتمر الدار البيضاء حيث اجتمع مع تشرشل رئيس وزراء بريطانيا ..

وفى ١٢ أبريل عام ١٩٤٥م رحل فرنكلين روزفلت عن عالم السياسة وعن الحياة جميعها .. وطويت صفحة من التحدى والإرادة الصلبة والزعامة النادرة ..

* * *

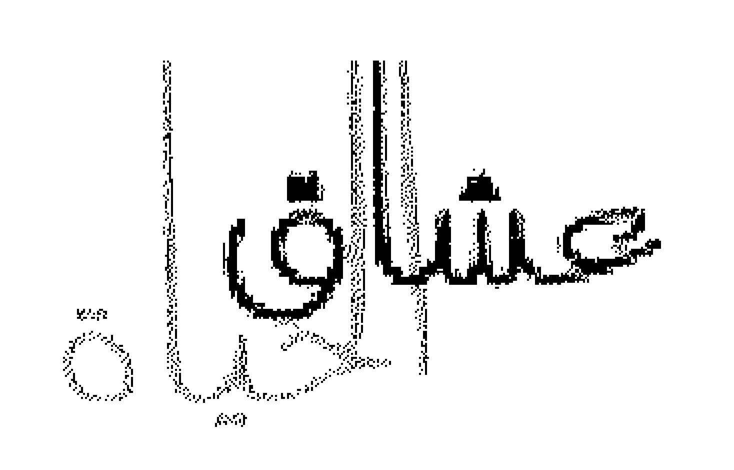


ربما يتحمل الإنسان فقد حاسة من حواسه التى يعيش بها .. أما أن يفقد الإنسان ثلاث حواس فى وقت واحد - السمع والبصر والنطق - فإن المعجزة تتمثل فى كيف يعيش ويتغلب على محنه .. ويتحدى قدره ..

تلك هى الحالة التى عاشت بها امرأة عجيبة ملأت العالم حياة ونوراً وإيماناً طوال القرن العشرين ، هى : هيلين كيلر ..

وقصتها قصة صراع وتحدٍّ وبطولة وإرادة .. قصة امرأة رفضت أن تستسلم وتنطوى تحت ظلمات الليل .. قصة بطولة نادرة حطمت بها أقفاص الألم العاتية.

ولدت الطفلة هيلين فى ٢٧ عام ١٨٨٠م فى إحدى مقاطعات أمريكا .. ولدت سوية كاملة كما يولد الأطفال .. لم تكن تشكو أى قصور فى حواسها .. ولكنها على العكس تماماً .. بدأت تنطق فى شهرها السابع



وكانت أول كلمة نطقتها (الماء) .. water بل مشت فى سن مبكرة .. وكانت شعلة من الحيوية والنشاط .. تجرى وراء الفراشات فى الحديقة وتحاول الإمساك بها؛ وتحاول أيضاً الإمساك بظلال الأشجار وهى تتلاعب على وجه الأرض ..

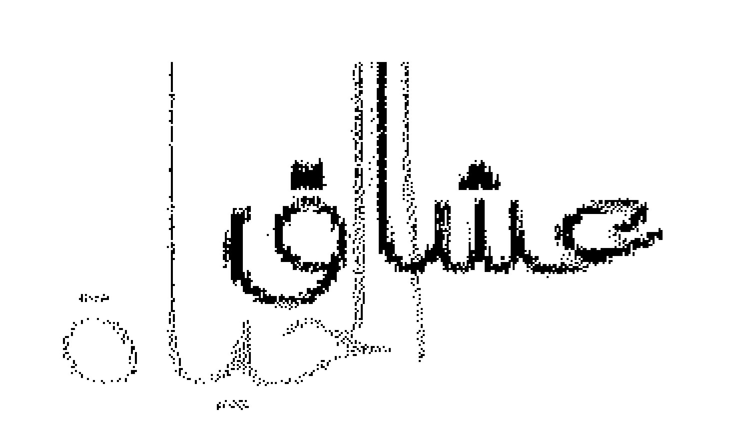
وربما تنظر إلى القمر فترى فيه ملامح وجه بشرى .. فتتأمله وتتحاور معه .. وقبل أن تبلغ عامها الثانى أصيبت بمرض شديد شخصه الأطباء بالحمى الدماغية فقدت على أثره حاستى السمع والبصر .. ولا مفر بعد ذلك أنها تصبح بكماء .

وهكذا نجت الطفلة من الموت لتدخل فى ظلمات طفولة عابسة ..

ونمت الطفلة بسرعة .. لكن روحها المرحة وطاقتها المختزنة .. وحيويتها الشديدة ذابت جميعها بسرعة فى نوبات هياج وبكاء . وكثيراً ما كانت تلقى بنفسها على الأرض .. وتطلق صيحات لا يمكن السيطرة عليها .

وتقرأ الأم كتاب ديكنز (مذكرات أمريكية) ومنه عرفت قصة الصماء البكماء العمياء لورا بريدجمان .. كيف استطاع معهد بركنز أن يعالجها .. على الفور أخذت الأم ابنتها هيلين إلى معهد بركنز .. فرشح لها فتاة أيرلندية تخرجت فى المعهد .. لتكون رفيقة لهيلين .

كانت آن سوليفان هى المرشحة لعلاج هيلين .. لقد كانت الفتاة كبيرة القلب واسعة الصدر .. علمتها تجاربها التى مرت عليها كيف تتحمل وكيف تصبر .. وكيف تقاوم اليأس فقد حرمت من أبويها وهى طفلة ودخلت ملجأ للأيتام هى وأخوها .. وكانا يبيتان فى غرفة موحشة لازدحام الملجأ بالأولاد،



ثم مرضت فى الرابعة عشرة إثر موت أخيها وأوشكت أن تفقد بصرها .. لكن تحسن بصرها وأكملت دراستها فى معهد بركنز للعميان، حيث تعلمت القراءة بحروف برايل .. ومن ثم لبت آن طلب المعهد لتكون معلمة لهيلين.

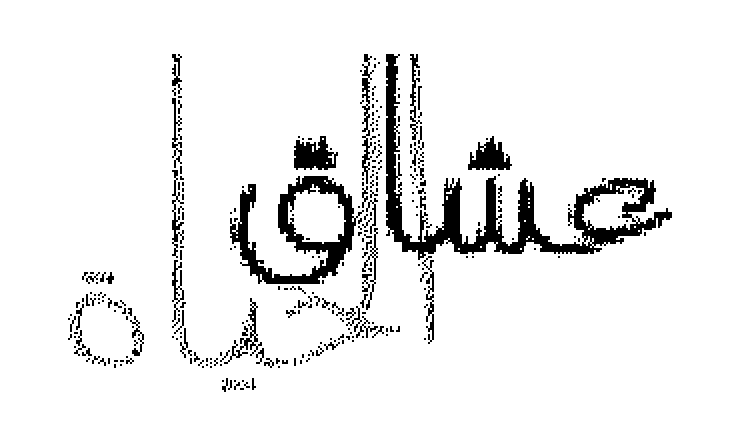
وجدت آن تلميذتها هيلين لا تعرف شيئًا عن الحياة .. لقد كانت أمام حيوان إنسانى .. يحطم كل شىء .. ويغضب على كل شىء .. ويحشر الطعام فى فمه حشراً .. ويصرخ بلا سبب .. ويضرب كل من يقترب منه .

هكذا كانت هيلين .. ومن ثم كانت أمام آن مهمة شديدة الصعوبة .. حاولت أن تكتب حروفًا على ذراع هيلين لتعبر بها عن أشياء مثل لعبة أو عروسة .. بعد أسبوعين صحبتها آن إلى الحديقة وراحت ترطب وجهها بالماء الحسن البارد .. وبينما يتدفق الماء على يد هيلين كانت آن تخط فى بطء فوق ذراعها الأيسر حروف كلمة (ماء) .. وفجأة أشرق وجه هيلين فقد أدركت أن كلمة (ماء) تعنى ذلك الشىء الذى يتدفق على يدها .

كانت هذه التجربة فاتحة المعرفة لهيلين .. فما إن عادت إلى البيت حتى صارت تلمس الأشياء .. وآن تخط بأصبعها على يدها اسم هذا الشئ، وخلال ساعات قليلة عرفت ثلاثين كلمة جديدة .. وفى نهاية الشهر الثالث كانت حصيلة هيلين من الكلمات ٤٠٠ كلمة، وبدأت عن طريق اللمس تقرأ بطريقة برايل .

وفى العام العاشر من عمرها طلبت من معلمتها أن تدربها على النطق .. إنها تريد أن تسمع صوتها إلى العالم .

وتم ذلك فى معهد بركنز .. وفى مدرسة هوراس مان للصم فى بوسطن،



فأخذت هيلين تتعلم كيف تستطيع أن تحس بيديها حركات الشفاه والفك الأسفل أثناء النطق .. ونجحت هيلين .. وتقدمت .. وفى طريق العودة همست هيلين فى أذن آن (أنا لست بكماء) .

وبدأت تحسن التحدث يومًا بعد يوم بمساعدة آن سوليفان .. قهرت هيلين الصمم بالبراعة فى قراءة الشفاه عن طريق الذبذبات .

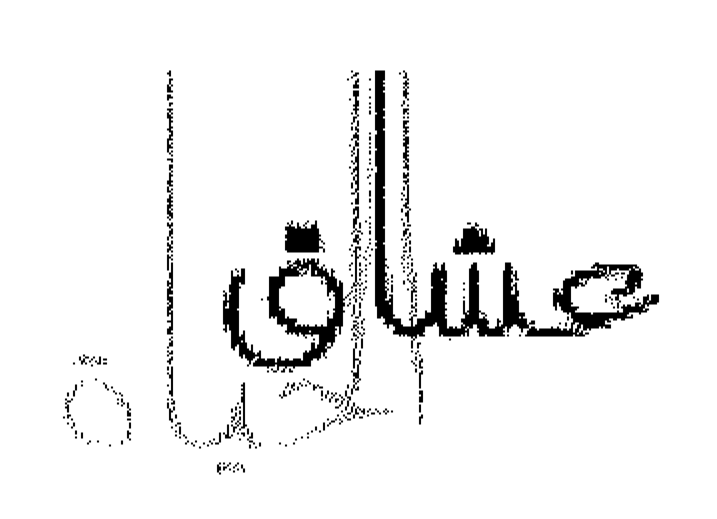
صار حلم هيلين أن تدخل الجامعة .. ففى عام ١٨٩٦م دخلت مع معلمتها مدرسة كامبردج للبنات وصارت تقرأ وتكتب بسرعة مدهشة .

ثم دخلت معهد راد كليف وتخرجت بعد أربع سنوات حاملة شهادة بكالوريوس فى العلوم .. وقد تعلمت خلال هذه السنوات الألمانية والفرنسية واللاتينية .. ثم حصلت على الدكتوراه من جامعة تمبل فى فيلادلفيا .. وكانت رسالتها بعنوان (الرسالة الإنسانية) .

ثم كرست هيلين حياتها بعد ذلك لدراسة مشكلات مكفوفى البصر ومعاونتهم على الحياة .. ومن أجل ذلك سافرت إلى جميع بلدان العالم تلقى محاضرات وتجمع المال لمساعدتهم ..

وفى عام ١٩٣٦م تلقت هيلين أكبر صدمة فى حياتها بوفاة معلمتها آن سوليفان تلك السيدة التى قالت عنها : إنها النور الذى أضاء حياتى ودنياى ..

وكانت هيلين قد سئلت عن سر حبها لآن فقالت : إننى أدين لها بكل شيء؛ لأنها نقلتنى من مرحلة الجمادات إلى مرحلة الأناسى .



زارت هيلين كل مدن العالم .. وزارت مصر .. وجلست إلى طه حسين.. وتبادلا حوارًا طويلاً .. وألقت عدة محاضرات فى الجامعة.

وقد ألفت هيلين عدة كتب مهمة مثل : قصة حياتى – التفاؤل – العالم الذى أعيش فيه – أغنية الجدار الحجرى (شعر) – السلام عند الغروب – يوميات هيلين كيلر – ليكن عندنا ثقة وإيمان.

وفى يونيه عام ١٩٦٨م – قبل شهر من بلوغها سن الثامنة والثمانين توفيت هيلين كيلر .. ولسان حالها يقول :

(هناك سعادة كبرى فى إنكار الذات ومقاومة الصعاب؛ لهذا أرانى أحاول أن أجعل شمسى الداخلية ضوءًا فى عيون الآخرين .. وسعادتى النفسية بسمات على شفاههم).

* * *



أوجست رنوار والخلاص بالفن

تعد ممارسة الفن فى ألوانه المختلفة استجابة حقيقية لأمانى الإنسان وأحلامه، فالشاعر يبدع قصيدته ويودعها أحلامه وتنبؤاته، والروائى يودع روايته عالمًا من الخيال الذى يبعد عن قسوة الواقع ، والرسام يبدع لوحته بكل ما يملك من طاقة لعلها تخلصه من همومه، ز والموسيقار يجعل من الأوتار والأنغام جسرًا وهميًّا لتجسيد أحلامه .. وهكذا ..

ومن أجل ذلك سئل الفنان رنوار : لماذا ترسم ؟ فأجاب – وقد كان حديث السن : أرسم لكى أشعر بالسعادة ..

فقيل له : وهل ترسم لتسعد نفسك فقط ؟

فقال : نعم، وإذا لم أجد فى الرسم أسباب سعادتى .. لما امتدت يدى بفرشاة على اللوحة ..

ما سر السعادة فى حياة هذا الرسام العالمى أوجست رنوار ؟

لنعد إلى نشأته الأولى .. فقد ولد فى شهر فبراير عام ١٨٤١م بمدينة ليموج بفرنسا .. لأسرة متوسطة الحال .. وكان أبوه يعمل خياطًا وكذلك والدته .. وكان له خمسة إخوة يتحمل عبء إطعامهم الأب الفقير .

غرست أمه فى نفسه حب الطبيعة وهى تأخذه إلى أماكن جميلة .

ثم انتقلت الأسرة إلى باريس وأوجست فى الرابعة من عمره .. وأرسلوه إلى المدرسة .. فشغف بالموسيقى والغناء .. واكتشف أن له صوتًا جميلاً .. لكن رنوار اكتشف أيضًا أنه يميل أكثر إلى الرسم والألوان .. وبدأ رحلته الفنية العلمية بالرسم على أوانى القيشانى فى أحد المصانع وكان عمره آنذاك ثلاثة عشرة عامًا. وكان ما يأخذه من أجر يعطيه لأبيه ليساعده على الإنفاق على أسرته .

وبإغلاق المصنع وجد رنوار نفسه بلا عمل .. ولحسن الحظ .. ظهرت موجة مراوح السيدات المزدانة برسوم زخرفية جميلة .. فأخذ يعمل مزخرفًا للمراوح ويرسم عليها الزهور ومناظر طبيعية ووجوه بعض الجميلات ..

ولم ينس فى خضم ذلك أن يدرس الفن دراسة أكاديمية حتى يصقل موهبته . وكان يقضى وقته فى المتاحف الفنية ومشاهدة لوحات الفنانين الكبار ..ومرة أخرى سئم عمله فى مراوح السيدات وأخذ يبحث عن عمل آخريدر عليه أجرًا معقولاً يساعد به والده ..

اقترب من أحد المقاهى .. ولاحظ مشادة كلامية بين صاحب المقهى وأحد العاملين فى طلاء الحوائط واختلفا على الأجر .. فانصرف عامل الطلاء ..

ووجدها رنوار فرصة ذهبية فاقترب من صاحب المقهى وعرض عليه أن يزين الحوائط برسوم جميلة نظير أجر زهيد .

ووافق صاحب المقهى .. واستطاع رنوار فى أيام قليلة أن يزين حوائط المقهى برسوم أعجبت الرجل .. وأعجبت رواد المقهى .. واتفق معه أصحاب المقاهى أن يزين ويرسم أيضًا حوائط مقاهيهم .. فاستجاب لهم .. ووجدها فرصة للكسب .. واستطاع أن يدخر جزءًا من دخله فى هذا العمل ليلتحق بمدرسة الفنون الجميلة ويدرس فى القسم المسائى الرسم والتشريح .. وبدأ يشبع رغبته فى رسم الأجسام البشرية .

واتجه رنوار فترة من عمره إلى الأسلوب التأثيرى فى الفن .. وكانت له فلسفته الخاصة التى استمدها من الطبيعة .

ويهتم رنوار فى أسلوبه الفنى بالطفولة والمرأة – حيث تعبر الطفولة عن البراءة والفطرة وإشراق الحياة .. وتعبر المرأة عن الجمال والحب والحنان .

وينتقل رنوار فى رحلات مختلفة إلى إيطاليا وشمال إفريقيا ودول أوربا الأخرى لزيارة المتاحف واكتساب خبرات فنية جديدة .. وتأثر بسحر الشرق وبأسلوب فنانى عصر النهضة فى إيطاليا .. وعاد رنوار إلى باريس ليقيم فى عام ١٨٨٣م معرضًا شاملاً ضم سبعين عملاً من إبداعه ..

وفى عام ١٨٨٩م وهو فى أوائل الخمسينيات من عمره .. كان يقود دراجته كعادته كل يوم .. وكان اليوم شديد الأمطار .. فاختل توازنه وسقط على الأرض ووقع على بعض الأحجار .. وأدى ذلك إلى كسر ذراعه اليمنى تلك التى يرسم بها .. وأمر الطبيب بوضعها فى الجبس .. ولكن رنوار لم

يستسلم لهذا الحادث .. لأنه لا يستطيع أن يعيش دون أن يمسك بالفرشاة .

ساعدته زوجته على تدريب ذراعه اليسرى .. وفى مدة قصيرة بدأ يستخدمها بسهولة ومهارة .. وبعد ذلك بوقت قصير أصيب بمرض الروماتيزم .

وبدأت فاعلية يده اليمنى واليسرى تقل ..

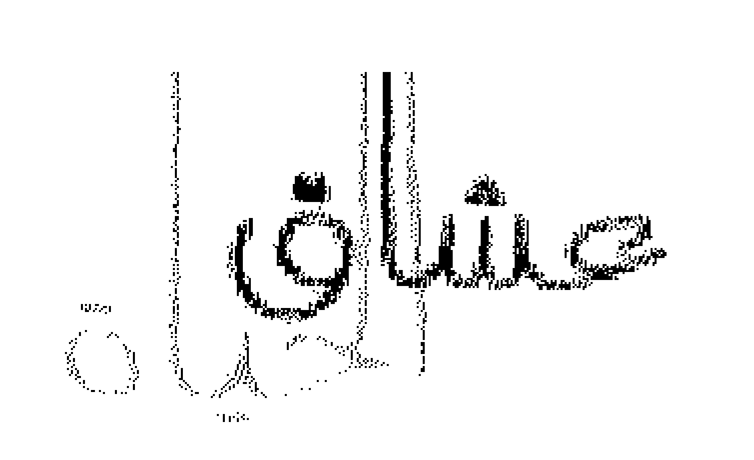
ولم ينجح المرض فى توقف رنوار عن رسالته .. فهو يحب الحياة .. ويحب التعبير عن جمالها .. ويرى فى الرسم خلاصه من الألم والهموم .

وما هى إلا سنوات قليلة حتى أصيب بالشلل وجلس على كرسى متحرك .

لم يتوقف .. بل استطاع أن يثبت الفرشاة بين أصابعه المتيبِّسة .. ويتحرك بكرسيه ليرسم لوحاته ويبيعها بأثمان مرتفعة .. ورفض رنوار أن ترتعش يده .. أو يمنعه شلله من الإقبال على الحياة .. وذات مرة زاره صديقه الفنان (هنرى ماتيس) وأشفق عليه وهو غارق فى إبداعه .. فسأله : لماذا تصر على الاستمرار فى الرسم على حساب صحتك؟ إننى أراك تتعذب مع كل حركة تأتى به أصابعك .

فأجاب رنوار : فعلاً أنا أتألم ياصديقى .. ولكن الألم سوف يزول حتماً .. بينما يبقى الجمال حيًّا لا يموت أبداً .. عزائى الوحيد أننى أشارك فى صنع جمال الحياة!

لقد قضى رنوار الخمسة والعشرين عامًا الأخيرة من حياته رهن القيود



والآلام، لكنها كانت – مع ذلك – فترة خصبة للإنتاج الفنى لديه .. فنجده يهتم بالنحت إلى جانب رسم لوحات .. ومن ذلك نحته لتمثال فينوس ربة الجمال عند الرومان .. ولأنه لم يكن يملك الحركة .. كان يمسك عصا ويطلب من مساعده النحات تسوية الأجزاء أو تعديل بعض الخطوط مشيراً بالعصا إلى هذه المواضع والأجزاء .

وكانت آخر لوحة رسمها لفتاة فى السادسة عشرة من عمرها تدعى (أندرية) كانت تغنى له وتدخل السعادة على نفسه .. وقد انتهى منها فى اليوم الثالث من ديسمبر ١٩١٩م .. ثم وضع ريشته .. وفرك يديه وقال : (الآن أعتقد أننى بدأت أفهم شيئًا من هذا الفن – فن الرسم) .

ثم أطبق جفنيه إلى الأبد .. تاركًا تراثًا مشرقًا بحب الحياة .

* * *



حينما يفقد المطرب صوته أو الموسيقى حاسة السمع أو الرسام يده التى تمسك الفرشاة .. فتلك كارثة كبرى على نفسية صاحبها .. إن صاحب هذه المحنة أمامه أحد أمرين : إما أن يستسلم لها ويطويه الزمان فى مقبرة النسيان .. وإما أن يقاوم ويتحدى ويجسد أحلامه برغم مما يعانيه من آلام .. فيكتب فى صفحات الفخر والتقدير .

وأمامنا موسيقيان تتشابه ظروفهما المؤلمة .. فكلاهما أصيب بالصمم وفقد حاسته التى تشعر بالنغم .. وتميز بين الأصوات والألحان .. لكن كليهما أيضاً لم يستسلم ولم يستجب لقهر الألم وإنما كتب مجده الموسيقى برغم كل شىء .



بيتهوفن

فقد ولد فى عام ١٧٧٠م فى بلدة بون الألمانية لأب اتخذ الموسيقى صنعة له .. وكان يحلم أن يكون ولده فى منزلة موتسارت العظيم ..

ولم يكن والده يتمنى ذلك بقصد أن يكون ولده عبقريًّا فى الفن.. بقدر ما كان حريصًا على أن يكسب من ورائه ما يسد به ثمن ما يحتسيه من خمر!

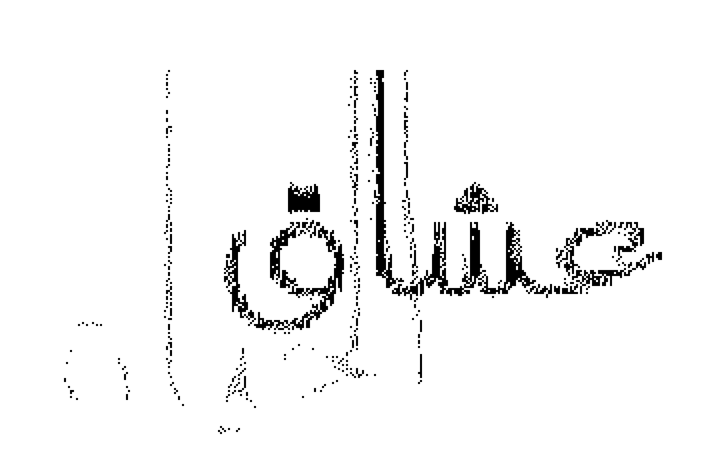
وبرغم ذلك فقد تعلق بيتهوفن بفنه الجميل .. وسلمه أبوه وهو فى التاسعة من عمره الى أحد المعلمين الكبار فى الموسيقى يعمل فى بلاط أمير كولونيا .. وأتاح له ذلك أن يكون عازفًا فى القصر .

لكن طموح الصغير جعله يرحل إلى ڤيينا فى السابعة عشرة من عمره ليستزيد من العلم والمعرفة .. وهيأت له أسرة بروينج المجال للاطلاع فى مكتبها بما يشبع فهمه .. ونشأت بين بيتهوفن وأسرة بروينج صداقة قوية .

وفى عام ١٧٩٢م مر الموسيقار العظيم هايدن ببون فاحتفلت به الأوساط الفنية .. وأسرع بيتهوفن ليعرض عليه موسيقاه فيعجب به ويتنبأ له بمستقبل باهر فى التأليف الموسيقى .. ونصحه بأن يستكمل دراستة بڤيينا مهد الكلاسيكية .

ويخصص له الأمير جناحًا فى قصره ومبلغًا شهريًّا يساعده على استكمال ثقافته الموسيقية .

ويبتسم له الحظ ،، ليألف الموسيقى ويقودها بنفسه .. فتنهال عليه



الدعوات للعزف فى الحفلات الموسيقية .

ولم يكد يبلغ الثلاثين من عمره – فى قمة شهرته الفنية .. حتى أخذ الصمم طريقه إلى أذنيه .. لكن أخذ يخفى هذه المحنة على الناس زمنًا طويلاً ويستمر فى تأليفه أجمل وأعظم أعماله الفنية .

وتزيد عليه العلة تدريجيًّا حتى صار كامل الصمم وهو فى الخامسة والأربعين من عمره : وصار لا يسمع إلا ضوضاء داخل أذنيه .

وفى عام ١٨١٥م اعتزل بيتهوفن الناس .. وساءت حالته المالية ومرض بالتهاب رئوى فلازم الفراش .. حتى وفاته فى ٢٦ مارس عام ١٨٢٧م .

كان بيتهوفن ذا نفس أبية .. ولم تكن حياة القصور تستطيع أن تلونه أو تغير مذهبه فى الحياة .. ذلك المذهب الذى يمسك به طوال حياته والذى كان يعتقد به أن الناس سواسية لا فرق بين أمير وفقير .

ويحكى أنه دعى ذات ليلة إلى حفل يقيمه أحد الأمراء .. بعد أن عزف على البيانو وأدهش الحضور بعزفه .. سأله الأمير فى استخفاف : لقد عزفت البيانو عزفًا جيداً .. فهل تستطيع أن تعزف الكمان؟ .. وهنا نظر بيتهوفن إلى الأمير نظرة لها معنى .. وانصرف من الحفل فى صمت ودون تعليق .

وفى اليوم التالى أرسل إلى الأمير يقول :

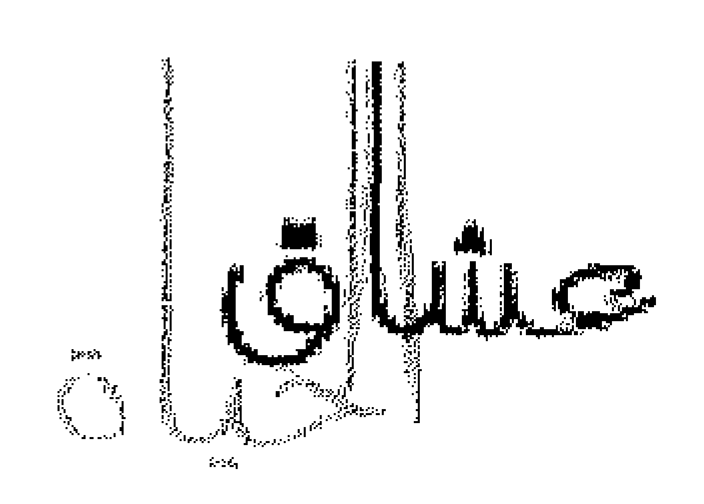
(لقد أصبحت أميراً بمحض الصدفة والوراثة .. أما أنا فمدين بمركزى لنفسى .. إن العالم زاخر بالأمراء .. لكنه ليس فيه إلا بيتهوفن واحدا) .

هذا هو لودميج فان بيتهوفن ذلك الموسيقى العبقرى الذى تحدى صممه

وأخذ يؤلف موسيقاه بصبره وإرادة قوية.. قال عنه فيكتور هوجو:

(لئن فاخرت إنجلترا بشاعرها شكسبير.. وباهت فرنسا ببطلها نابليون.. وطاولت إيطاليا بكاتبها دانتى.. فإن هؤلاء جميعًا يتضاءلون أمام عبقرية بيتهوفن).

* * *



سميتانا

فهو نموذج لا يقل ارادة عن بيتهوفن ..

فقد ولد في الثاني من مارس عام ١٨٢٤م، وسماه أبوه فريدريك، وسعدت الأسرة به لأنه جاء بعد خمس بنات رزق بهن أبوه .. استشف أبوه منذ صغره حبه للموسيقى فأسرع به إلى معلم الكمان في براج (تشيكوسلوفاكيا) أنطون شميليك .. فرعاه وعلمه . وأعجب بنبوغه وعبقريته المتوثبة .

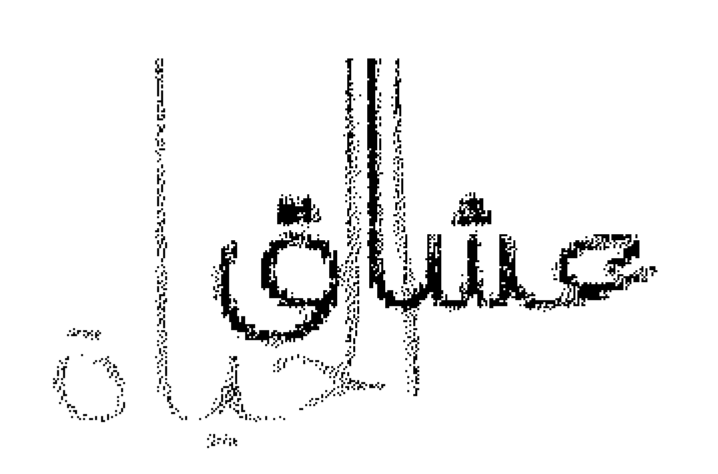
ولم يفت المعلم أن يسجل للصغير صاحب الخمس سنوات أولى مؤلفاته الموسيقية .

وفي الرابع من أكتوبر سنة ١٨٣٠م أقيم مهرجان كبير بمناسبة تعميد القيصر فرانس الثاني، ويقدم سميتانا الصغير عزفه على الكمان .. وكان مفاجأة للحضور .. ثم يعزف على البيانو افتتاحية أوبرا للموسيقى أوبير فيدهش الحضور كذلك .

ويتاح لفريدريك تعلم الألمانية وآدابها .. وينال ثقافة رفيعة في الموسيقى على أيدي معلمين كثيرين .

لكن أباه – وقد لاحظ انحياز ولده إلى الموسيقى – كان حريصًا على أن يواصل ولده تعليمه أولاً .

لكن فريدريك كان يريد أن يستزيد من معلوماته حرًّا .. غير مقيد بحجرات الدراسة ولوائح المدرسة .. وهنا بدأت حرب بلا هوادة مع والده ..



فريدريك يلتحق بالمدرسة ويرسب دائمًا .. لكنه يتفوق فى الموسيقى ويشتهر .. والأب لا يعجبه ذلك ويحتج ويطالبه بالاستمرار فى الدراسة فيلتحق فى براج بالمدرسة الثانوية .. فيلتقى هناك بثلاثة من الطلاب يهتمون مثله بالموسيقى .. فيكون معهم رباعيًّا موسيقيًّا للعزف .. لا رباعى مذاكرة وتحصيل دراسى .. ويعلم الوالد بما آل إليه حال ولده وانقطاعه عن الدراسة .. فصمم على استدعائه إلى المنزل وأن تكون الزراعة حرفته الأخيرة مدى الحياة ويتدخل ابن عمه لدى والده .. ويعده بمراقبته فى الدراسة ..

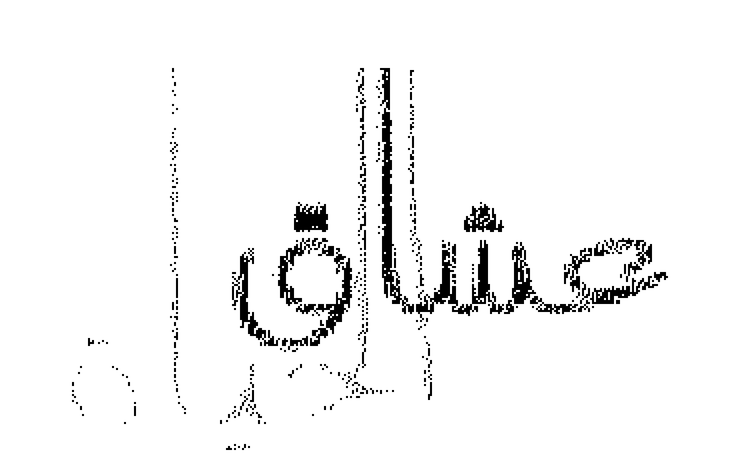
واستطاع بصعوبة أن ينهى دراسته الثانوية .. فزالت بذلك الكآبة التى كان يستشعرها من عدم رضا أبيه عنه ..

وفى يوليو ١٨٤٣م اشترك فى حفل موسيقى كبير .. وتحدث الناس عن الموسيقى الشاب ولاقى كل إعجاب وترحيب ..

وكان قد تعرف على فتاة من أسرة راقية تسمى كاتارينا وكانت محبة للموسيقى وتعزف البيانو ..

وتنشأ علاقة حب بينهما تنتهى بالزواج ..

بدأ يخطط لمستقبله الفنى بعد أن حلت المشكلة بينه وبين والده.. لكنه كان يؤمن نفسه ماديًّا بالكاد .. تلك كانت صعوبة تقابله دائمًا .. ففى عام ١٨٤٨م أعلن فريدريك عن افتتاح مدرسة أولية للموسيقى .. تشمل العلوم النظرية والتأليف الموسيقى وعلوم الهارمونى إلى غير ذلك من العلوم والدراسات العليا .



وكانت فكرة جيدة.. فسرعان ما أقبل على المدرسة طلاب كثيرون.. وأمّن بذلك حياته المادية ..

وكان كلما ألف شيئًا جديدًا أهدى الفنانين نسخة منه ليتلقى أحكامهم .. فمنهم من يثنى عليه .. ومنهم من يحقد عليه وينتقده نقدًا لاذعًا .. لكنه لم يتوقف عن التأليف برغم كل شيء .

ثم تحل عليه محنة شخصية مفجعة .. حيث يختطف الموت ثلاثا من أبنائه فى عمر الزهور .. ولم ينجُ من الموت سوى ابنة رابعة هى صوفى .. التى قدر لها أن تتزوج فى حياة والدها .

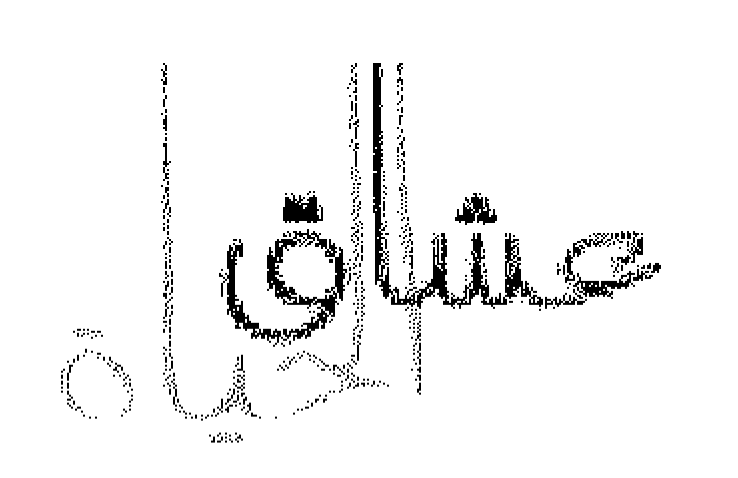
ويدرك فريدريك عامه الخمسين فيصاب بالصمم .. ولا يبقى فى أذنيه سوى ذلك الأزيز القوى الذى يحسه فى رأسه كهدير الماء الشديد ..

ويحاول علاج هذا المرض اللعين بلا جدوى .. ويتفق الأطباء على أن مرضه ليس من تلك الأمراض الشائعة فى الأذن .. وإنما هو شيء آخر ربما يكون شللاً فى الأعصاب والقوقعة .

وقرر أن يواجه مصيره حتى آخر لحظة من حياته .. ويحتمل دون أن يتألم .. ويواصل عمله العظيم فى الموسيقى ..

انقطع بعد إصابته بالصمم إلى التأليف الأوركسترالى بعيدًا عن الغناء على الرغم من صممه الكامل ..

ويبلغ سميتانا فى ذلك التأليف القمة ..وقد كان الحاقدون عليه يتمنون أن يكف عن النشاط بعد إصابته بالصمم.. لكنه لم يفعل .. وظل حتى آخر



رمق من حياته يعزف ألحانه الجميلة .

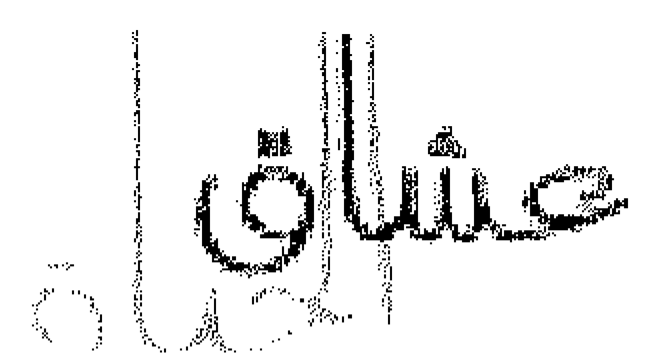
وكان عيداً قومياً يوم افتتاح المسرح القومى التشيكى فى الحادى عشر من يونيه عام ,١٨٨١م. وجرى فيه تكريم الفنان فريدريك سميتانا بحضور ولى عهد النمسا والمجر.

وجلس فريدريك فى مقصورة مدير المسرح يرقب مؤلفاته تؤدى على المسرح وهو لا يسمع من نغماتها شيئًا . . وأقبل عليه ولى العهد يقبله ويهنئه على عبقريته .

وفى منتصف نوفمبر عام ١٨٨٢م فقد المنطق تمامًا، وعجز عن ربط أفكاره . . وضاعت ذاكرته ، وأصبح عاجزًا حتى عن القراءة . . وتوفى فى مستشفى الأمراض العقلية فى مايو ١٨٨٤م.

وهكذا يخلد بيتهوفن وسميتانا فى أعمالهما الرائعة وتاريخهما المجيد ، كما يخلدان رمزين للإرادة القوية والتحدى . . وحب الحياة . .

* * *





اليزابيث براوننج عزيمة لاتلين

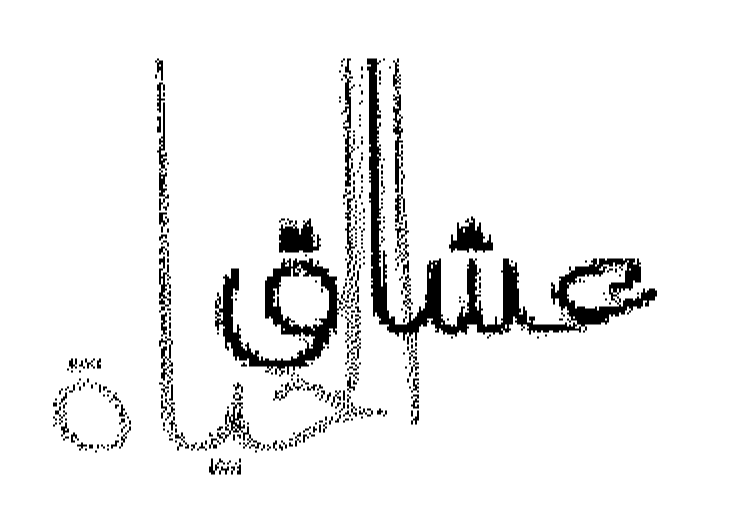
يقولون : إن الكبت يولد الانفجار..!

وفى المجتمعات المتخلفة يسيطر الرجل على بيته.. ويصير طاغية ظالمًا . يحبس بناته داخل الجدران .. ويسمح للذكور من أولاده بكل شيء.. لكن ما بالنا لو حدث ذلك فى مجتمع يقال عنه إنه متقدم.

كان أسرة باريت تعيش فى قصر ريفى بالقرب من لندن.. وكان باريت هذا غريب الأطوار.. قاسى السلوك.. جهم الوجه.. استبد بأولاده استبدادًا وحرمهم من مخالطة الناس.. وسمح لهم أن يتعاملوا مع من يوافق هو عليه.

رزق باريت فى عام ١٨٠٦م بابنته (إليزابيث) وكانت كبرى بناته غير تسعة صبية آخرين.. ومما يدل على غرابة أطواره أنه أطلق على الصبيين الآخرين اللذين رزق بهما: السابع.. والثامن.

ونشأت إليزابيث فى هذا القصر الكبير.. والذى مثل لها سجنًافولاذيًا فرضه أبوها عليها .. إذ حرم عليها الخروج من الدار ومن الحديقة المحيطة بها



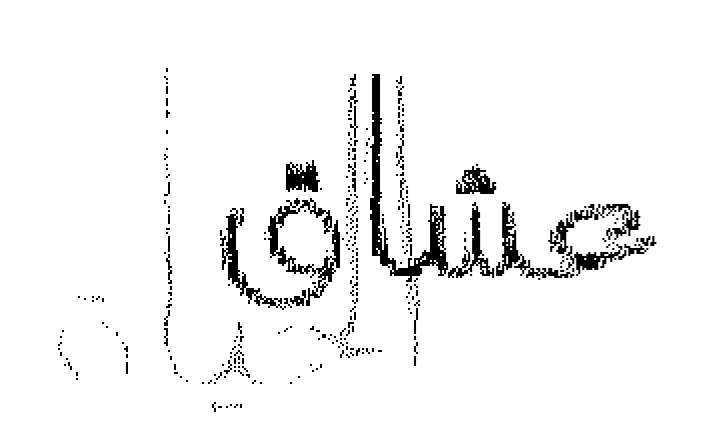
.. كما لم يسمح لها – مثل إخوتها– ارتياد المدرسة حتى لا يختلطوا بأمثالهم من الأطفال.. واكتفى باستدعاء المدرسات والمدرسين إلى الدار فى ساعات معينة من النهار..

واكتفت اليزابيث بقراءة الأدب والعلم فى مكتبة أبيها.. لكنها كانت أكثر الأبناء حساسية وتمرداً.. فبدأت تعبر عن ذلك فى أشعار ساذجة جميلة .. نبهت الأب الطاغية إلى نبوغ ابنته.. ولكنه بالرغم من ذلك آثر عدم المبالاة .. بل أخذ يمارس ضغطًا نفسيًا شديداً.

وكانت إليزابيث فى هذه المرحلة متأثرة بتوجيهات معلم إخوتها الأديب القدير (بويد).. ولكن أباها منعها من حضور درسه فكانت تنتابها بين الحين والآخر نوبات عصبية حادة.. لم تتوقف إلا عندما سمح لها أبوها بحضور جلساته..

ولما بلغ أخوها إدوارد عامه الثالث عشر.. أرسله أبوه إلى المدرسة وطلبت اليزابيث مرافقته .. لكن أباها رفض طلبها لأنها فتاة.. ولأن التقاليد تقضى بأن تقيم الفتاه فى البيت ولا تذهب إلى المدرسة.. فثارت الفتاه ثورة شديدة.. وسمح لها أبوها أن تطوف فى مكتبته وحدد لها جانبًا منها لا تقرب غيره.. فقرأت هوميروس وشكسبير وميلتون وبايردن وأفلاطون، وتاقت إلى الانطلاق فبدأت تكتب مذكراتها.. وبعض القصائد الحزينة.

لكن ذلك كله لم يشعرها بالحرية.. ولم يخفف أبوها قبضته عليها بل على العكس تمامًا كان قبها عن قرب.. ويزيد من ضغطه على نفسيتها فبدأت تضرب عن الطعام .. وتكثر من البكاء .. وعاودتها النوبات العصبية الحادة وبدأت تظهر عليها بوادر الضعف الجسمانى.. رافضة مغادرة فراشها



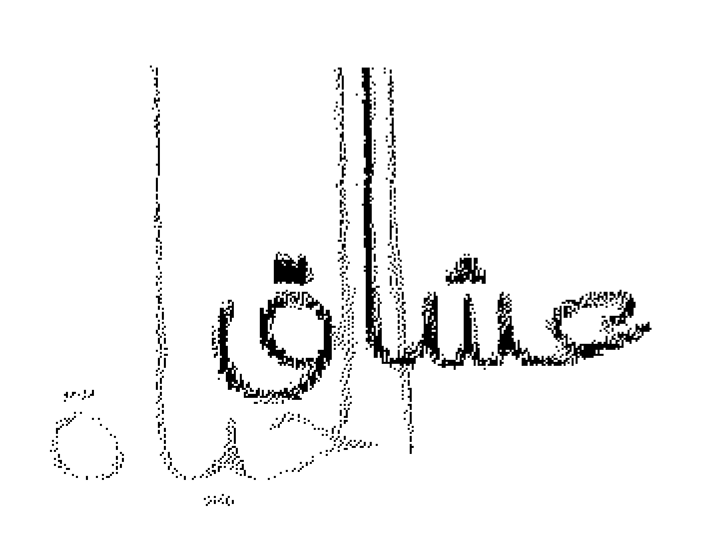
وغرفتهاوتوالى عليها الأطباء.. وقرروا أن علتها نفسية.. لكن أباها لم يقتنع بهذا التشخيص.. ومع مرور الوقت صارت إليزابيث الشاعرة الصغيرة فتاة مقعدة تماماً.. ولم تعد تقوى على الحركة.. فشبت معزولة عن العالم مقيدة فى أغلال أبيها.. مكتفية بالتعبير عن ذلك كله بالشعر وكتابة المذكرات..

وكان أخوها إدوارد أكثر الناس قرباً منها.. إذ جمعت بينهما صداقة عميقة وجاء يوم أصيبت به اليزابيث بالتهاب رئوى حاد، وأشار الأطباء على أبيها بضرورة إبعادها عن الرطوبة والضباب.. ويلين أبوها هذه المرة ويسمح لها ولأخيها إدوارد بالسفر إلى مكان دافىء على الشاطىء الجنوبى.. وما هى إلا أيام حتى غرق أخوها إدوارد تحت نافذة غرفتها وهو يسبح فأصيبت بصدمة نفسية عنيفة وخيل إليها أنها المسئولة عما حدث لأخيها ثم توفيت أمها فى وقت كانت فى أمس الحاجة إليها.. فقرر أبوها الانتقال مع أسرته إلى لندن وضاعف من قسوته فى معاملة أولاده..

ويبدو أن العزلة قد شحذت مواهبها.. فأخذت تكتب أشعارها بإحساس عميق.. ولاحظت أن أباها بدأ يعاملها برقة .. فأسمعته بعض أشعارها.. وطلبت منه اقتناء كلب من كلاب الصيد أطلقت عليه (فلاش)لعله يؤنس وحدتها.

أخذت تقرأ لشعراء كبار مثل «بايرون» و «شيلى» وكذلك «روبرت براونننج».

وكان روبرت فى الرابعة والثلاثين حينما قرأ لإليزابيث أشعارها.. فتطلع إلى التعرف عليها عن طريق صديق من أقرباء أبيها.. مما أسعد إليزابيث وجعلها تستعيد الثقة بنفسها.



لكن إليزابيث رفضت مقابلة الشاعر الكبير خوفًا من أبيها، وأيضًا حتى لا يفاجأ براوننج بحالتها الصحية.. لكن براوننج صمم على رؤيتها لأنه وجد فيها ضالته المنشودة.. وظل عامًا كاملا يراسلها ويؤكد حبه لها ولأشعارها.. حتى تم اللقاء فى غرفتها فى أثناء غياب أبيها..

واكتشفت إليزابيث أنها أساءت الظن والتقدير للشاعر الكبير، فقد أعجب بها وطلب منها الزواج.

لكن كيف تتزوج .. وهل سيوافق أبوها على ذلك.. وهى المريضة العاجزة..

ظل براوننج يواصل زيارته دون علم أبيها.. وكانت لهذه الزيارات أثرها الإيجابى فى تحسن صحة إليزابيث.. حيث حدثت المعجزة، ففى ذات يوم نهضت من فراشها وتغلبت على مرضها.. وخطت بضع خطوات .

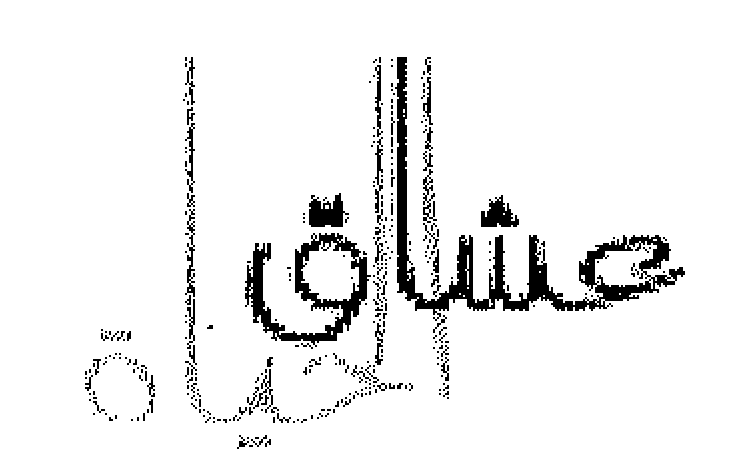
وبعد ثلاثة أشهر وبفضل تشجيع براوننج.. تمكنت إليزابيث من السير مسافة قصيرة برفقته.

لقد كانت زيارات الشاعر الكبير تفتح لها آفاقًا من العلم والأدب والحوار والثقة بالنفس.. ورفض اليأس.. وبدأ الشاعران يتبادلان قصائد الحب الصادق.. ثم تزوجا دون علم أبيها.

ولما عرف أبوها ذلك ثار ثورة عارمة وقال: إن ابنتى فى قبرها الآن فلننس الأموات.

هكذا كانت قسوة الأب.. على حين بدأت إليزابيث مع براوننج صفحة جديدة من السعادة والإبداع.. وفشلت كل محاولاتها لإرضاء أبيها .

ويرحل الزوجان إلى إيطاليا مع وليدهما الوحيد.. وفى عام ١٨٥٧م يموت

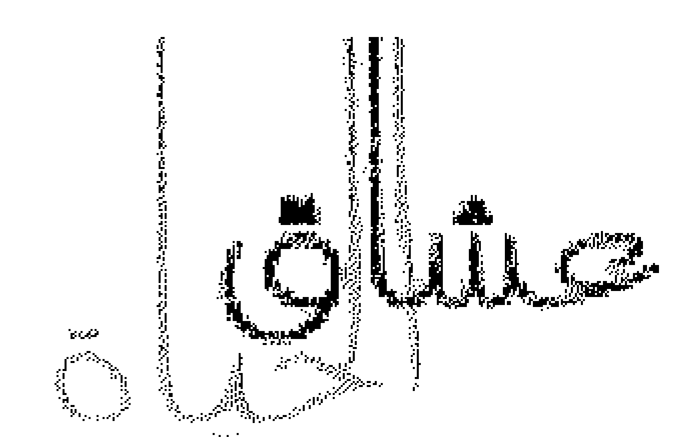


الأب وتحزن إليزابيث.

وفي عام ١٨٦١م توفيت إليزابيث برانج بعد أن ملأت الدنيا شعراً وحبًّا للحياة. وكتب عنها أندريه مورو:

لقد عاشت فوق الشوك لكنها أبدعت نشيد الحياة؛ ليبقى مفعمًا بالحب والنور والحرية.

* * *



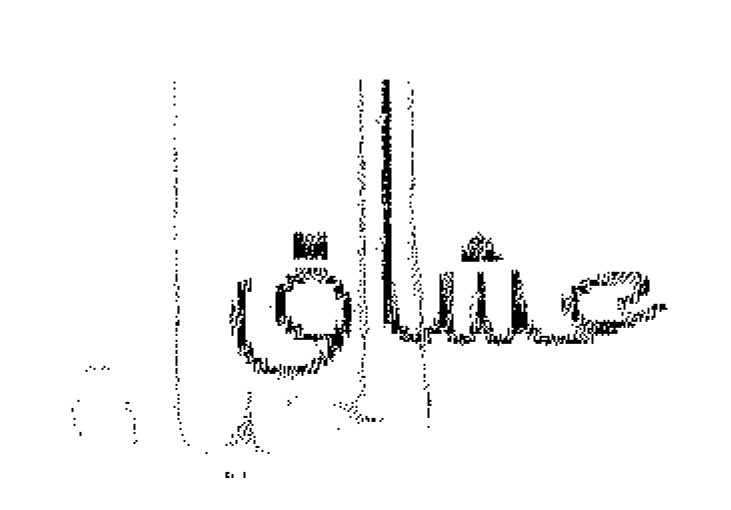


هذه قصة مدهشة حقًّا .. تدعو إلى التأمل والإعجاب .. لأن صاحبها مكفوف لكنه أضاء نور الأمل لأصدقائه من مكفوفى البشرية ..

لم تكن تختلف بلدة كوبفراى شرقى باريس عن غيرها من البلاد الصغيرة لكن كتب لها المجد .. حينما ولد فيها لويس برايل فى ٤ يناير ١٨٠٩م.

كان أبوه يعمل فى صناعة سروج الخيل ويسكن فى بيت صغير من الحجر عند قاعدة التل .. والغريب أنه لم يكن يتوقع أن تلد زوجته لكبر سنها.

ويشب لويس .. وبدأ فى الثالثة من عمره يخرج ليحضر لأمه ما تشاء من السوق .. ثم يعود ويجلس إلى أبيه وهو يثقب الجلد بمخرازه .. ويصنع الشرائط .. ويعقد العقد .. ويلصق بالسرج مشابك، معدنية لامعة .. وكثيراً ما كان يساعده بقدر سنه فيناوله الخيط أو الشرائط أو المشابك. ولأن لويس كان أصغر الأبناء .. فقد نال من أبيه تدليلاً كبيراً ومن أمه حنانًا وحبًا عميقًا ..



وقبل أن يبلغ لويس الرابعة من عمره .. كان فى دكان أبيه .. وانتهز فرصة خروج أبيه من الدكان .. فأخذ يلهو بمثقاب الجلد .. فاندفع المثقاب إلى إحدى عينيه ففقأها .. ثم لم تلبث عينه الأخرى أن أصيبت .

وأخفقت محاولات الأب مع الأطباء لإنقاذ ولده .. وشاركه أهل البلد فى مصابه الأليم .. أما الأم فقد انتابها حزن شديد على مصير ولدها .

كان الأب قد رسم لولده مستقبلا مثل إخوته فى سلك التعليم .. لكن بدا له أن أحلامه تلك قد أصبحت وهماً كبيراً ..

لم يكن أمام لويس إلا أن يمارس حياته كما يفعل كل المكفوفين فى العالم .. فبدأ يتعلم شيئًا فشيئًا القيام بأعمال كثيرة معتمداً على نفسه .. ممسكًا بعصا صغيرة ترشده عن موضع الأشياء ..

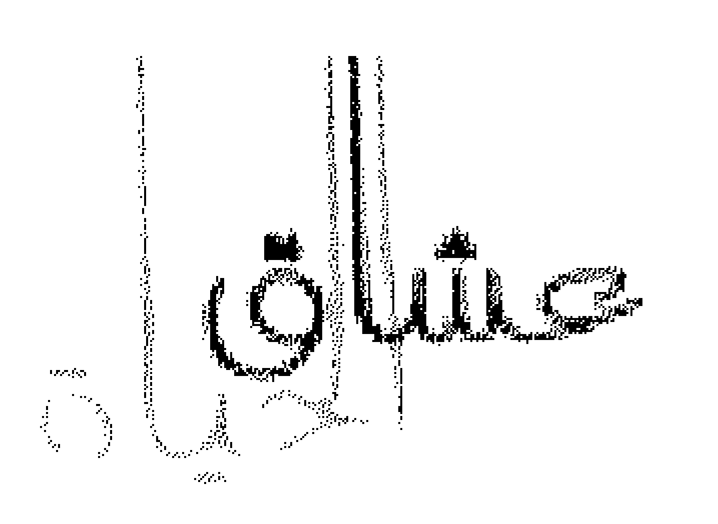
ثم ها هو يخرج إلى الطريق ليميز أصوات العربات والقطارات .. ونهيق الحمار وصهيل الخيل .. ونباح الكلب .

وقد تعلم بمرور الأيام أن يصعد الطريق الجبلى قاصداً سوق البلدة – الذى سمى بعد ذلك ميدان برايل وكان يجد لذة فى اختلاطه بالناس ..

ثم أرسله أبوه إلى المدرسة فتعلم فيها حروف الهجاء والحساب .. وأدهش أساتذه بذكائه .. وذاكرته الحافظة .. وفهمه العميق .. وحبه للمعرفة ..

ويشاء القدر أن يموت أبوه وهو فى سن العاشرة .. وكان لويس آنذاك فى مدرسة المكفوفين فى باريس .. وكانت هذه المدرسة قد أنشأها صبى يسمى « هاوى » كان فقيراً ثم اهتم بالمكفوفين وجمع المال وأنشأ بها هذه المدرسة .

وأتاحت هذه المدرسة مجالاً جديداً أمام لويس .. فقد أنشأ ناظرها د . جيليه مجموعة من الحرف اليدوية يمارسها المكفوفين من الصبيان ..



ويبدو على لويس اهتمامه بالموسيقى .. فأخذ يعزف ويغنى مع زملائه من المكفوفين .. ويشاركهم فى الزيارات والحفلات..

وسرعان ما تفوق لويس فى القراءة والكتابة والموسيقى والصناعات اليدوية .. وكان فى مقدمة التلاميذ تحمسًا للعلم والعمل .. وقبل أن يبلغ العشرين كان عازفًا ماهرًا على آلتى الفيولينا والأرغن ..

وبدأ لويس تجواله فى مدينة باريس حبًّا فى المعرفة ..

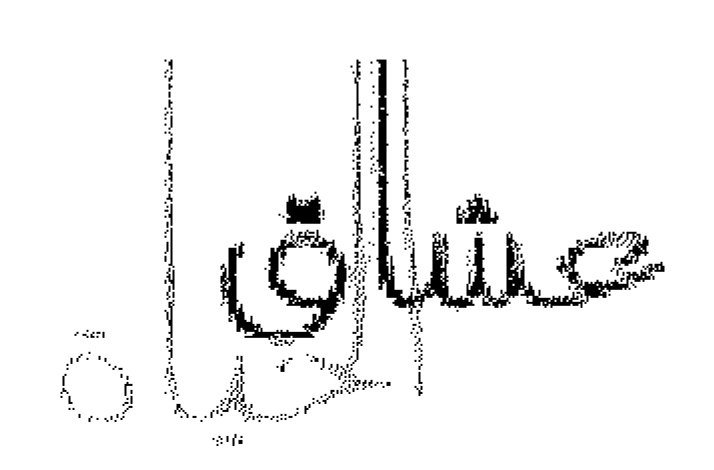
وعندما حان موعد التخرج فى المدرسة طلب إليه المسئولون أن يبقى معلمًا مدربًا للتلاميذ .. فعين استاذًا فى عام ١٨٢٨م لتدريس التاريخ والهندسة والجبر .. وأحبه التلاميذ واستجابوا رلى توجيهاته.

وأدرك لويس أكثر مما أدرك هاوى .. ود. جيليه – وكلاهما مبصر – أن المكفوف يستطيع أن يفعل كل شيء مثل المبصرين..

أخذ يتأمل طريقة هاوى فى تعليم المكفوفين واكتشف عيوبها .. ثم قرر أن يبتدع طريقة أكثر تطوراً وبساطة فى التعليم..

وكان قد قرأ أيضًا عن محاولة أخرى قام بها (تشارل بارييه) تحت مسمى (طريقة الكتابة والقراءة الليلية) وكان الغرض منها نقل المعلومات السرية فى ساحة القتال فى الظلام حيث كان بارييه يعمل فى الجيش وكانت مدارس المكفوفين تستخدم كل هذه الطرق لتعليمهم..

أخذ لويس أيضًا يكتشف عيوب هذه الطريقة – حيث تمثل صعوبة للمكفوف لأنها تتطلب دائمًا شفرة تمثل دليلاً لفك رموزها .. ومن ثم فهى طريقة معقدة .. بالإضافة إلى أنها تستغرق مساحة كبيرة فى الكتابة وهو أمر غير عملى .. وبالتالى أخذ يفكر لويس فى طريقة تجعل مساحة الأحرف



صغيرة.. وتسهل على المكفوف لمسها دون صعوبة دون الرجوع إلى الشفرة.

ونجح لويس برايل في اختراعه الذى جربه في المدرسة وسعد به التلاميذ وبدأ ينتشر فى مدارس المكفوفين كنظام متقدم متطور يسير..

ويبلغ لويس الأربعين من عمره .. وكان سعيداً بما توصل إليه من اختراع هذه اللوحة للمكفوفين التى سهلت عليهم القراءة والكتابة بطريقة اللمس.. فقرر التخلى عن التدريس لسوء صحته..

بدأت صحته في الانحدار .. ولازمه السعال بدون توقف .. لكنه ظل يشارك فى إلقاء المحاضرات التى يدعى إليها هنا وهناك ..

وكان الحفل الختامى لتسليمه جائزة كبيرة .. فحضره وهو يحتضر وجاء يوم عيد الميلاد عام ١٨٥١ حيث أصيب بنزيف حاد.. ولم يهمله المرض كثيراً.. حتى فارق الحياة فى ١٦ يناير ١٨٥٢م ودفن فى مقابر قريته .. بعد أن انتشرت طريقته فى أنحاء العالم سواء فى لغة الكتابة العادية .. أو الاختزال فى الرياضة .. أو الموسيقى.

وكانت المفاجأة بعد وفاته حينما اكتشفوا صندوقاً صغيراً كان قد أوصى بحرقه بعد وفاته .. وكما كشفوا محتوياته وجدوا ايصالات إدانة وقروض كان قد وهبها لأصدقائه ومعاونيه فى باريس من المكفوفين.

وفى مدرسة باريس التى تعلم فيها يزاح الستار فى عام ١٨٨٧م عن تمثال نصفى للويس برايل .. بعد أن سجل ملحمة من الإرادة.. وبعد أن رسم المستقبل لكل مكفوف قادم بعده .. بالنور والخلود.

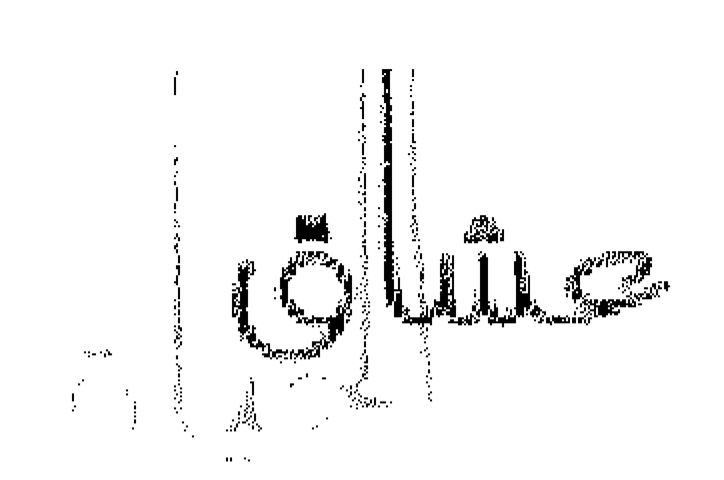


عاش ستة وستين عامًا .. لكنه فى عامه السادس والأربعين بدأت علامات كف البصر تظهر فى عينيه .. إذ ضعفت عينه اليسرى .. وصحب ذلك اضطراب في الهضم .. وأخلد إلى السكينة بعض الوقت .. ثم بدأ الظلام يزحف أيضًا إلى عينه اليمنى .. حتى كف بصره تمامًا.

والغريب أن ميلتون قد كتب أعظم أعماله الأدبية: الفردوس المفقود – واستعادة الفردوس بعد أن كف بصره تمامًا .. وهذه الأعمال مستلهمة من قصة المعراج النبوى .. لكن بفكر خاص لكاتبها الإنجليزى جون ميلتون..

ولد جون ميلتون بمدينة لندن فى التاسع من ديسمبر عام ١٩٠٨ وكان والده محرر عقود رسمية ميسور الحال .. له نصيب من الثقافة .. وأمه سيدة طيبة حسنة الأخلاق اسمها سارة ..

وكان تحيط بالطفل أجواء الترف والثقافة .. فهو يسمع بأسماء كتاب ومفكرين كبار مثل جونسون – وبيكون – وشكسبير وغيرهم ..



وكان أبوه أيضًا يكتب الأناشيد يترنم الصغير بها ويعزفها على آلة البيانو ..

ويتلقى جون دراسته الأولية بمدرسة القديس بولس.. وظهرت عليه ملامح الذكاء والفهم ..

وفى عام ١٩٣٢م نزح جون إلى قرية هورتون بالقرب من وندسور وكان له بالجامعة أصدقاء مريدون .. يحبون صحبته .. والاستماع إلى أفكاره وآرائه.. وبعد ستة أعوام قضاها فى الجامعة دارسًا .. قام برحلة إلى القارة الأوربية .. وانتهى به المطاف إلى إيطاليا حيث زار هناك معاهد العلم والدراسة بحثًا عن المعرفة ..

وفى إيطاليا زار العالم الكبير جاليليو فى داره ..

ثم يعود جون إلى لندن بعد أن أشبع وجدانه بكثير من المعرفة فقد انجلترا تغلى بالأحداث السياسية .. ووجد نفسه غارقًا فى هذه الأحداث .. فكتب عام ١٩٤١م رسالة شديدة الصراحة بعنوان (عن الإصلاح فى إنجلترا والأسباب التى وقفت فى طريقه) ثم وجد نفسه قادرًا على التعبير بأقذع العبارات باللغة اللاتينية أيضًا.

وأصبح جون بذلك فى بؤرة الصراع السياسى .. وظل يحارب الفساد فى الدولة وفى الكنية..

وفى الرابعة والثلاثين من عمره .. تزوج جون ميلتون بفتاة فى السابعة عشرة من عمرها تدعى مارى باول .. ولكن سرعان ما عادت إلى دار أبيها مما دعا ميلتون إلى نشر رسالة واقعية مريرة بعنون (القاعدة والنظام فى الطلاق) قوبلت بعاصفة من الاحتجاج من رجال الدين وغيرهم .. وأخذ ميلتون

يدافع عن أرائه وأفكاره .. ويتلقى التهديدات بالقتل ..

وفى يناير ١٩٤٩م كان إنجلترا تغلى بالمناقشات الحامية حول محاكمة شارل الأول وإعدامه .. فنشر ميلتون رسالة بعنوان : (حق الملوك والحكام) أيد فيها حق الشعب فى إعدام الملك الخائن . ويصاب ميلتون بكف البصر .. وكانت عيناه شفافتين لم يفسر لونهما كف البصر ..

ويعبر جون ملتون عن هذه المحنة فى أشعاره حين يقول :

عندما كنت أشكو ثقل المرض

وأحذر فقد عينى الباقية

وعندما قرر الزطباء أن انهماكى فى العمل

سوف يقضى على بصرى نهائيًا

فإننى لم أفزع مطلقا .. وظللت صامداً فى موقفى

لم تهن لى عزيمة ..

ولم يكن أمامى سوى أحد أمرين :

إما فقد البصر ..

وإما الفرار من الواجب ..

وكان على أن اختار ففضلت بصرى

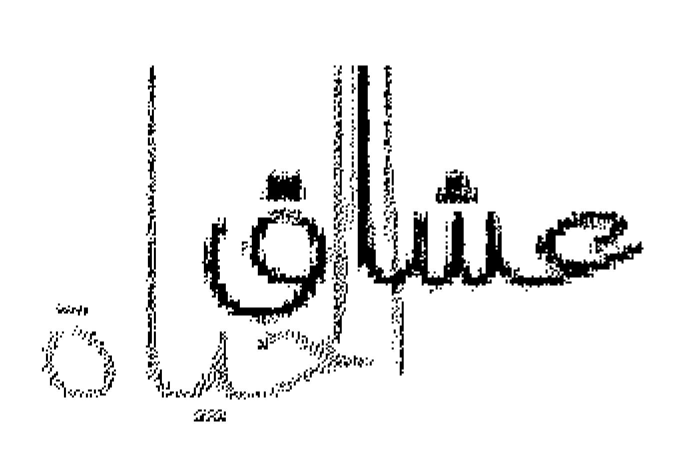
أما الظلام الذى أحاط بى فلم يحجب عني

سوى ألوان الأشياء .

وأشكالها ..

وأتاح لى أن أتأمل فى حرية

جمال الفضيلة والحق ..



ويكتب ميلتون ملاحمه الكبيرة : الفردوس المفقود – استعادة الفردوس– شامشون أجونيستيس .. وكذا المقطوعتين التاسعة عشرة والثالثة والعشرين.. وكذا يخاطب فى الأخيرة أحد أصدقائه التجار ويسمى سيرياك سنكد..

وينتقل جون مع أسرته إلى كوخ صغير فى قرية صغيرة .. يملى على فتى مخلص أعماله الكبيرة أحيانًا .. وعلى ابنتيه أحيانًا أخرى..

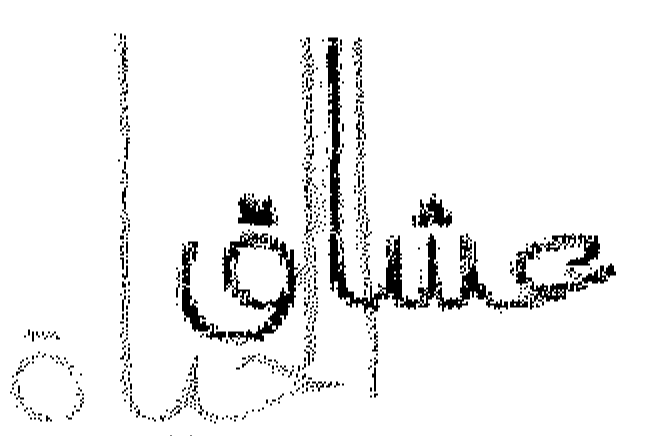
ويعد النقاد – الفردوس المفقود – من روائع الآثار الأدبية ويقارنون بينه وبين هوميروس وفرجيل وغيرهما..

وظل ميلتون فى الخمسة عشر عامًا الأخيرة من عمره .. يخرج طاقاته الخلاقة التى أثمرت أعظم أعماله .. متحديًا بذلك فقد بصره .. ويكفى أن تعرف أن ميلتون لم يكتف بالتزود من المعرفة فقط .. وإنما أجاد ثمانى لغات .. العبرية – السريانية – اليونانية – اللاتينية – الإيطالية – الإسبانية – الفرنسية.. إلى جانب لغته الإنجليزية.

وقد اعتقل ميلتون حينًا من الزمن .. وتزوج بعد أربع سنوات من وفاة زوجته .. وماتت زوجته الجديدة فى الشهر الثانى عشر من زواجه – فتزوج للمرة الثالثة فى عام ١٦٦٤م .. ولم تكن حياته العائلية سعيدة نظرًا لالتزامه الجد الصارم وافتقاده روح الفكاهة وانكبابه الدائم على العمل والدراسة..

ولا شك أن هذه المحن جميًا .. إلى جانب فقد بصره .. كانت تولد فى داخله إحساسًا بضرورة سبق الزمن .. لكي ينجز فيه ما أراد أن يخرجه للناس..

ويظل جون ميلتون مثلاً للمفكر والمبدع الخلاق .. وستظل أعلامه شهادة على عبقريته..



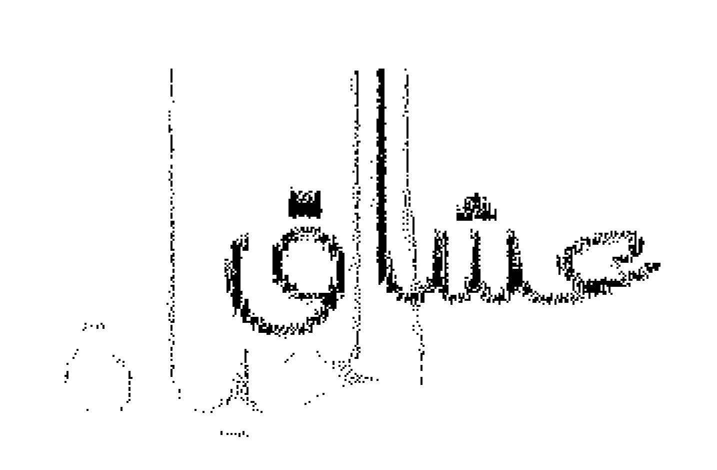


روبرت بيرى والقطب الشمالى

خطيرة هى رحلات المكتشفين .. فهم يواجهون الصعاب .. والمخاطر .. لكن أحلامهم لا تتوقف .. وكم يسعدون ويفرحون حينما يبلغون ما حلموا به.. وهم قد اعتادوا على الصبر .. ورفضوا اليأس.. وأخلصوا للبشرية حينما يقدمون لها الجديد فى عالم الاكتشاف ..

وهى قصة مكتشف أصر على الوصول إلى قمة العالم الشمالية حتى تجمدت أقدامه فوق الجليد .. لكنه لم يتوقف – ورفض أن يعود إلى أمريكا لكى ينال علاجًا لأقدامه المتجمدة .. وخشى ألا يعود .. وألا يكون له شرف الاكتشاف فظل صابرًا على تجمد أقدامه حتى حقق أحلامه..

ولد روبرت بيرى فى بلدة كريسون بولاية بنسلفانيا عام ١٨٥٦م فى أسرة متوسطة .. وتلقى دراسته .. ثم التحق بالجيش بوصفه مهندسًا بحريًا عام ١٨٨١م.



وحينما بلغ روبرت عامه الثلاثين (١٨٨٦م) قدم طلبًا لقائد البحرية الأمريكية لاقتحام جزيرة جرينلاند .. وقام بأول مهمة .. واندفع بالزحافات لمسافة ١٦٠ كيلو مترًا فى جليد الجزيرة الكبيرة..

وفى عام ١٨٩١ كلفته الأكاديمية العلمية فى فيلادلفيا بمهمة جديدة .. فقاد حملة أخرى قاصدًا أقصى شمال جرينلاند .. وفى أثناء هذه الحملة وصل روبرت وحملته إلى خط عرض ٨٢ ..

ثم قام عامى ١٨٩٣ و١٨٩٥م بحملتين أيضًا خلال الجزيرة .. كان هدف روبرت بيرى الوصول إلى القطب الشمالى قمة العالم ..

وفى عام ١٨٩٧م أسس روبرت بيرى (جمعية بيرى القطبية) بهدف محدد هو الوصول إلى القطب الشمالى ..

وتبدأ الجمعية عملها فى إخلاص وعزيمة..

ويلاقى روبرت وأصدقاؤه المشاق الصعبة فوق الجليد .. والحرمان من النوم والراحة خلال رحلة البحث .. لقد كانوا يصرون على تحقيق الحلم الكبير..

وفى عام ١٨٩٨م قام روبرت بحملته الأولى نحو الشمال وخلال هذه الحملة .. ونتيجة قسوة الطبيعة والإرهاق الزائد .. والتصميم على تحدى الزمن .. أصيب بيرى بتجمد فى قدميه مما تسبب فى التوقف عن المضى فى

الحملة ..

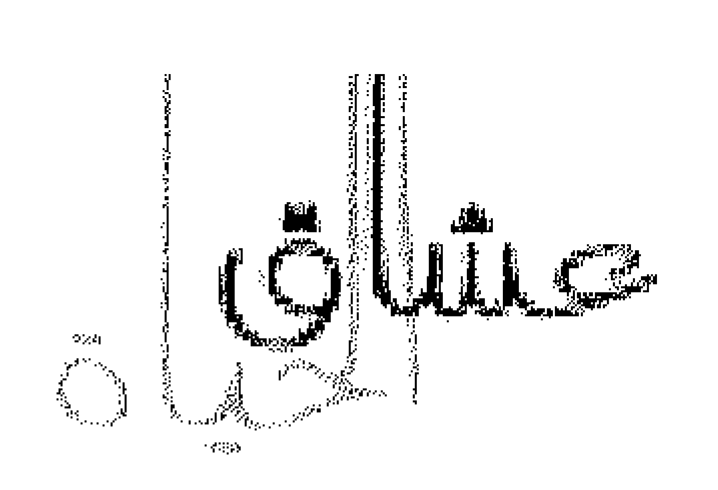
لم تخمد عزيمة روبرت بيرى أمام هذه المحنة المفاجئة .. لقد أحس بالألم يتسلل إلى قدميه حتى تجمدت عن الحركة تماماً .. بل نصحه أصدقاؤه بالتوقف والعودة للعلاج ثم استئناف الحملة إذا شاء .. لكنه رفض ذلك وصمم على الراحة قليلاً واستئناف المسير..

وفى شهر سبتمبر عام ١٩٠٩م – بعد رحلات عديدة قام بها روبرت بيرى– تلقى نادى (بيرى القطبى) رسالة تحتوى على كلمة واحدة هى : (شمس).

كانت هذه الكلمة هى التى اتفق عليها من قبل للإشارة إلى نجاح الحملة ووصولها إلى القطب الشمالى .. وكانت هذه هى المرة الأولى التى يضع فيها إنسان قدمه على تلك الرقعة من الأرض – القطب الشمالى–

لقد اكتسب بيرى فى رحلته صداقة الاسكيمو وثقتهم .. وجمع منهم حوالى سبعين شخصاً ما بين رجل وامرأة وشاب .. وحملهم مع ٢٥٠ كلباً على السفينة (روزفلت) ومعهم الزحافات وكل ما يلزمهم من أدوات للحملة القطبية ..

وعندما وصل بيرى إلى (رأس شيريدان) أنشأ مقر قيادته البحرية ثم اندفع فى شهر يناير ١٩٠٩م – ضارباً بآلامه عرض الحائط– ومعه ٢٣ رجلاً حتى (رأس كولومبيا) وهى أقصى نقطة إلى الشمال من أرض (جرانت).



ثم فى ٢٢ فبراير ١٩٠٩ بدأ يزحف مع رجاله لغزو القطب الشمالى وكان التقدم على ظهر القارب القطبى يتم على مراحل.. وبمجموعات متفرقة..

وحدث أن التقت المجموعات عند نقط متوازية .. وكان لا يزال باقيا ٢٥٠ كيلو مترًا للوصول إلى الهدف الكبير.

ثم انطلقت المجموعة التى يقودها بيرى مباشرة ومعه خادمه الزنجى وأربعة من رجال الاسكيمو حتى وصلوا إلى القطب الشمالى فى ٦ إبريل ١٩٠٩م..

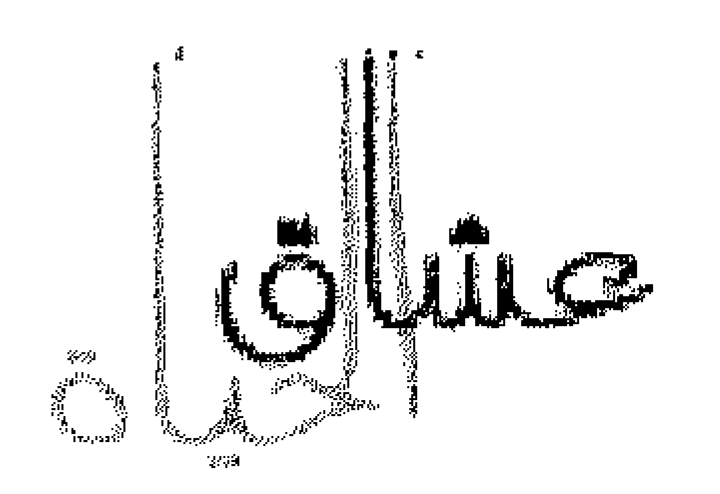
لقد كانت المهمة شاقة ومرهقة .. خاصة على روبرت بيرى الذى تزداد الام قدميه كلما تقدم إلى الشمال..

وكانت الزحافات تتقدم بين البرد الشديد القارس.. ثم تتوقف لأن الثلوج كانت تتخللها يقع من الماء العميق..

وقد كتب بيرى فى يومياته يقول :

(ها هو القطب أخيرًا .. إنه جائزة ثلاثة قرون – إنه حلمى وهدفى وبغيتى خلال عشرين عامًا .. إنه صار أخيرًا لى .. وبعد أن غرست العلم الأمريكى فى الثلوج .. هتفنا جميعًا هتاف النصر..

ويعود روبرت بيرى إلى الوطن فيستقبل استقبالاً حافلاً.. ويمنح رتبة الأدميرال..



ويعيش روبرت بقية عمره مستريحًا لتحقيق حلمه .. بالرغم من هذه الألام التي يحس بها .. حتى آخر يوم من عمره ٢٠ فبراير ١٩٢٠م بالغًا من العمر أربعة وستين عامًا ..

* * *



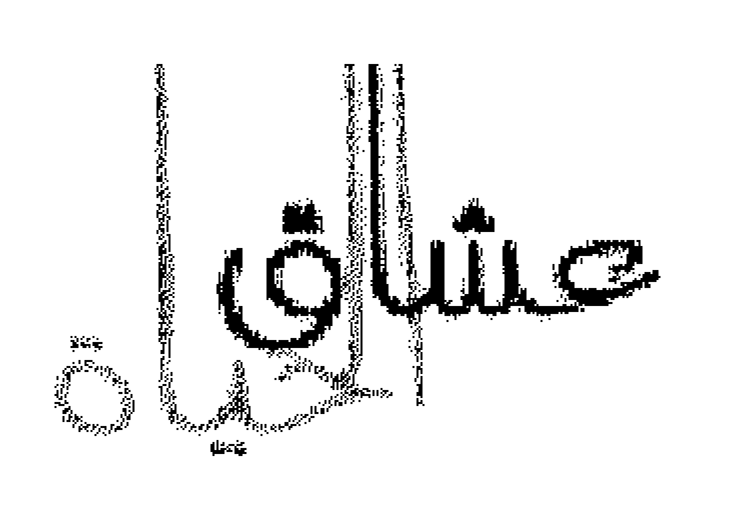
جوهانز كبلر وقانون حركة الكواكب

هذا رجل عاش حياة قاسية عنيدة .. لم يكن ينجو من محنة حتى تقبل عليه أخرى ولكنه لم يستسلم لأحدها لأن إخلاصه للعلم .. والتطلع إلى هدفه البعيد .. وإرادته القوية جعلته ينطلق برغم كل شيء لتحقيق أحلامه ..

فى مدينة ويل جنوبى ألمانيا ولد جوهانز كبلر فى ٢١ ديسمبر ١٥٧١م .. وكان أبوه جنديا مرتزقًا .. وأمه ابنة لأحد بوابى الفنادق .. لكنها جاهلة حمقاء .. وقد تكون مختلة عقليا ..

أدمن أبوه شرب الخمر .. وكان دائم الغياب عن بيته ..

نشأ جوهانز فى هذا البيت الكئيب .. وحينما بلغ الرابعة من عمره أصيب إصابة شديدة بالجدرى .. ولم يستطع أبوه .. ولم تستطع أمه أن تقوم برعايته فنشأ عن هذا المرض ضعف فى النظر .. وعجز فى اليدين ..



لكن جوهانز كان مجداً فى دراسته .. لكنه لم يستمر فى مدرسته لعدم قدرة أبيه على دفع نفقات الدراسة ..

وهكذا ترك جوهانز المدرسة رغماً عنه .. وظل على هذه الحال سنوات ثلاث.. محروماً من العلم والمعرفة ..

أخذ الصغير تنتابه حالات ونوبات عصبية .. وبكاء مستمر .. حتى توسط بعض أصدقاء أبيه .. ومكنوا الفتى من الالتحاق بمدرسة الدير ببلدة ملبرن.

وكان الدراسة بالنسبة له خلاصاً مؤقتاً من كتابته وآلامه..

لم يكن أمام الفتى سوى الاجتهاد وتخطى مرحلة الدراسة حتى يدخل الجامعة وبالفعل .. لم يكد يبلغ السابعة عشرة حتى مكنه بلوغه من الالتحاق بجامعة توبنجن..

اكتشف استاذ علم الرياضيات بالجامعة .. بنوع جوهانز كبلر فى الرياضيات فاهتم به .. وأخذ يشجعه ويوجه إلى رعايته الخاصة..

كان هذا الأستاذ واسمه ميخائيل ميستلن من أتباع مذهب كوبرنيكوس الذى يعتقد أن الشمس هي مركز نظامنا الشمسى.. وأن الأرض كوكب يدور حولها..

ويلقن الأستاذ تلميذه فكرة هذا الاعتقاد .. حتى صار كبلر من أشد أنصاره وأخذ يكتب الأبحاث فى هذا المجال حتى ذاعت شهرته فى علم الفلك فلما خلا منصب أستاذ الرياضيات فى جامعة جراتس .. عرضت

الجامعة عليه هذا المنصب لتفوقه .. فقبل ..

وفى عام ١٥٩٧ تحل عليه محنة أخرى .. فقد شاء القدر أن يتزوج من سيدة كانت متزوجة من قبل مرتين .. وكان زواجًا مشئومًا .. إذ رزق من هذه السيدة ثلاثة أبناء .. عجز عن الانفاق عليهم حيث ارتبكت حالته المالية..

كان كبلر – كما رأينا – إنسانًا سيء الحظ..

كانت طفولته بائسة .. صار ضعيف البصر .. عاجز اليدين نتيجة إهمال علاجه وهو صغير ..

بل إنه عاش فى وقت كانت ألمانيا فيه غارقة فى حرب الثلاثين عامًا فلم يكن يستطيع الحصول على راتبه الشهرى ينفق منه على أسرته فقد كان الذين يتولون السلطة يتكاسلون فى دفع الأجوز..

كيف إذن يدبر شئون حياته وله أولاد كثيرون..

وتزامن ذلك كله مع محنة أخرى تتعلق بأمه .. فقد قبض عليها .. وأدخلت السجن بتهمة ممارسة السحر.. وخداع الناس..

وبالرغم من كل هذه المحن .. واصل جوهانز كبلر طريقة إلى المجد .. فقد عمل استاذا للرياضيات والفلك فى جامعة جراتس.. وهناك أصدر أول مؤلفاته عن الفلك فى عام ١٥٩٦م .. وآثار هذا الكتاب جدلاً شديدًا بين العلماء..

وقد أعجب به العالم الفلكى نيكو براهى فدعاه مساعدًا له فى مرصد براغ



.. وكان ذلك فى يناير ١٦٠٥م.

وكان نيكو هذا عالمًا فلكيًا كبيرًا .. فلما توفى أصدر الامبراطور قرارًا بأن يخلف كبلر براهى .. فى وظيفة مستشار الامبراطورية للشئون الرياضية والفلكية..

شعر كبلر أن هذا العمل سوف يكفيه محنه وكئابته التى عاشها لسنوات طويلة.. لهذا أقبل بإخلاص يمارس عمله فى هذه الوظيفة.

وبدأ كبلر يقرأ ويدرس منهج سلفه ونظرياته فى الفلك ويقارن بين هذه النظريات ونظرية كوبرنيكوس..

ويثور سؤال: هل الأرض تدور حول الشمس.. ومعها الكواكب الأخرى كما يقول كوبرنيكوس.

أم أن الكواكب تدور حول الأرض كما قال من قبل بطليموس ..

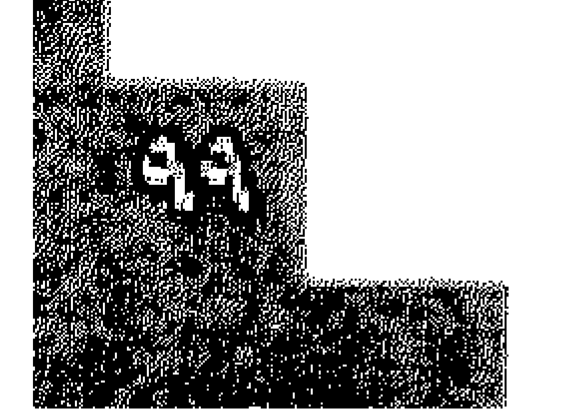
أم أن هناك احتمالاً ثالثًا .. عليه أن يبحثه..

بدأ كبلر يدرس ويتعمق فى البحث.. ويسوق الاحتمالات.. ويرصد بعينه الضعيفة حركات الكواكب..

وها هو يصل إلى النتيجة التى أودعها كتابه (الفلك الجديد) يشير فيه إلى أن الكواكب تدور فى مدارات شبه دائرية .. حول الشمس ..

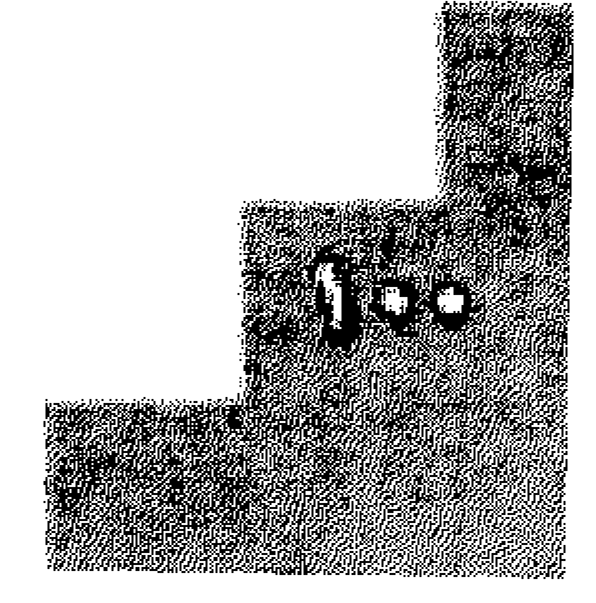
وتعد إسهامات كبلر فى علم الفلك لا تقل خطورة ولا أهمية عن دور كوبرنيكوس.. وقد تكون أعمق منه..

لقد عانى كبلر مأساة حياته.. لكنه كان سعيدًا بما حقق.. وقد كتب



يقول : إننى وهبت نفسى للصفاء الإلهى .. وقد ألفت كتابى : الفلك الجديد- وسواء قرأه من عاصرنى .. أو من أتى بعدى .. فالأمر عندى سواء .. وقد ينتظر هذا الكتاب مائة سنة حتى يعثر على أحد القراء تماما مثلما انتظر البشر ستة آلاف سنة حتى جاء من يفهم حركة الكواكب حول الشمس.

* * *



إن سير العظماء .. خاصة الذين أضافوا إلى البشرية إنجازات فكرية وعلمية وفنية.. تستهوى الكثيرين منا . لكن تستهوينا أكثر سير هؤلاء العظماء الذين فقدوا حاسة أو أكثر من حواسهم التى منحها لهم الخالق العظيم. لكنهم لم يقفوا أمام هذه المحنة شاعرين بالنقص أو العجز أو الاستسلام ، وإنما تغلبوا عليها .. فانطلقوا إلى قمم المجد.. سلاحهم الصبر على المحنة.. وعشق الحياة .. وتحقيق الحلم.. فكانوا قدوة ومثالاً للإرادة والتحدى أمام شبابنا الذى يبحث عن القدوة والمثال .






6222002172774

سفير الدولية للنشر
١٦ ش محمد عز العرب من ش القصر العيني ص . ب: ٤٢٥ الدقى - القاهرة
ت: ٢٥٣٢٩٩٠٢-٠٠٢٠٢ فاكس: ٢٥٣٢٩٥٠٥-٠٠٢٠٢
Cairo, Egypt Tel: 00202- 25329902 - Fax : 00202- 25329505
Web Site: www.safeer.com.eg E-Mail: info @ Safeer.com.eg